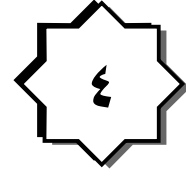


الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ

سلسلة كتب إسلامية



# المحظورات

الداعية الإسلامي

ياسين رشدي

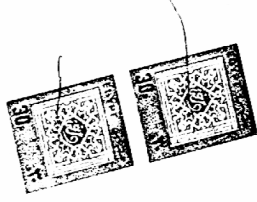
# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR  
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY  
GENERAL DEPARTMENT  
For Research, Writing & Translation

الأزهر  
مجمع البحوث الإسلامية  
الإدارة العامة  
للبحوث والتأليف والترجمة



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : ..... الموضوع .....  
..... تأليف : الشيخ .....  
.....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع  
من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث  
النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام  
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

*Handwritten signature*



تحريراً في ٢٢ / ٤ / ١٤١٤ هـ  
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩١ م

*Handwritten signature*

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة  
لجمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

## تقديم

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ عَمَّ الْخَلَائِقَ رَأْفَةً وَحَنَانًا ..  
تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِالْخَيْرِ مُمَطَّرَةً فَتَنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارًا وَأَغْصَانًا ..  
وَبَهَائِمٌ لِلْحَمَلِ قَدْ خُلِقَتْ ، وَأُخْرَى طَوَاعِيَةً تَمْنَحُ لَحْمًا وَالْبَانَا ..  
وَبِحَارٍ بَطْرِيٍّ اللَّحْمِ زَاخِرَةٌ ، وَأَنْهَارٌ تُفِيضُ عَذْبًا لِسُقْيَانَا ..  
وَشَمْسٌ تَجُودُ بِالدَّفءِ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا ، وَمَا بَخَلَتْ قُرُونًا وَأَزْمَانًا ..  
وَنُجُومٌ بِاللَّيْلِ مُشْرِقَةٌ تَهْدِي الْأَنْسِيَّ رِجَالًا وَرُكْبَانًا ..  
وَيُيُوتُ جُعَلَتْ لَنَا سَكْنَا ، وَجِبَالٌ صَارَتْ لِلْبَدْوِ أَكْنَانًا ..  
وَسَرَائِلُ تَقِينَا الْحَرَّ نَاعِمَةً ، وَسَرَائِلُ تَقِينَا بَأْسَ الَّذِي عَادَانَا ..  
خُلِقْنَا مِنْ نُطْفَةٍ مُنِيَتْ مِنَ الْأَصْلَابِ فَكَانَتْ الْأَرْحَامُ مَأْوَانًا ..  
غُذِينَا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ وَمَسْأَلَةٍ فَتَكَامَلَ الْخَلْقُ صُورًا وَأَلْوَانًا ..  
وَوَجَّعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ نَعْقِلْ مَا حَوْلَنَا وَلَمْ نُبْصِرْ وَالْغَيْرُ سَمَانًا ..  
حُمَلْنَا بِالسُّرُورِ وَالْوُجُوهُ ضَاخِكَةٌ ، نَمُو رُوَيْدًا تَبَارَكَ الَّذِي أُنْمَانَا ..  
نَحْبُو وَعَيْنُ اللَّهِ تَكْلُونَا ، وَالْأَبُ يَسْعَى ، وَالْأُمُّ تَرْعَانَا ..  
حَتَّى إِذَا الْقُوَى فِينَا قَدْ اكْتَمَلَتْ ، كَثُرَتْ مَعَاصِينَا وَعَظُمَتْ خَطَايَانَا ..  
نَسِينَا كَيْفَ كَانَ مَنْشُونَا ، فَكَيْفَ نَسْهُو عَنِ الَّذِي بَفَضْلِهِ أَبْقَانَا ..  
فِيَارَبِّ جَمَلٍ بِالسَّيْرِ مُدَّتْنَا ، وَحَقَّقَ بِحُسْنِ الْخِتَامِ أَمَلْنَا وَمُنَانَا ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ شَاءَ أَمَاتَنَا ، وَإِنْ شَاءَ أَحْيَانَا ..  
 شَرَعَ لَنَا مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ الْمُرْسَلِينَ رَحْمَةً وَأَمَانًا ..  
 نُورٌ وَبُرْهَانٌ وَقُرْآنٌ يُتْلَى ، بِالْخَيْرِ قَدْ أَمَرَ ، وَعَنِ الشُّرُورِ نَهَانَا ..  
 لَا ضَرًّا وَلَا ضَرَرًا أَبَاحَ لَنَا ، وَالْمَحْظُورُ مَا يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ شَيْطَانًا ..  
 أَرْوَا حُنَا سِرٌّ فِي الْوَرَى ، وَنُفُوسُنَا هِيَ أَشَدُّ عِدَانَا ..  
 وَقُلُوبُنَا لَيْسَتْ بِأَيْدِينَا ، وَإِنْ أَطَعْنَا الْهَوَى أُرْدَانَا ..  
 فَيَالْهَفَى عَلَى نَفْسِي وَقَدْ عَصَيْنَا جَهْرًا وَسَاءَتْ خَفَايَانَا ..  
 ذُنُوبٌ وَأَثَامٌ عَظُمَتْ عَنِ اللَّمَمِ جَهْلًا وَعَمْدًا وَخَطَأً وَنَسْيَانَا ..  
 وَحِلْمُ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ أَمَهَلَنَا ، وَسِتْرُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ غَطَّانَا ..  
 فَكَيْفَ بِيَوْمٍ لَا رَبَّ آتَيْنَا ، فِيهِ تُحْمَلُ أَجْسَادُنَا لِمَثْوَانَا ..  
 حُفْرَةٌ فِي الْأَرْضِ ضَاقَتْ بِمِرْقَدِنَا ، وَظِلْمَةٌ تُطْفِئُ شَمْسَ دُنْيَانَا ..  
 يُهَالُ التُّرَابُ بِأَيْدِي أَحِبَّتِنَا ، وَخَفِقُ النَّعَالِ عَلَى الْأَدِيمِ يَغْشَانَا ..  
 وَأَمْوَالًا وَأَبْيَاتًا تَرَكْنَاهَا بِلَا رَجْعَةٍ ، وَالصَّحْبُ وَالْآلُ قَدْ تَرَكَانَا ..  
 وَيَقْظَةٌ فِي سُكُونِ الْقَبْرِ تَفْجُؤُنَا ، وَسُؤَالٌ حَاسِمٌ مِنَ الْمَلَائِكِينَ يَلْقَانَا ..  
 عَنِ الْإِلَهِ وَالِدِّينِ ، وَعَنْ ذَاكَ الَّذِي حَذَرْنَا وَذَكَرْنَا بِأَخْرَانَا ..  
 فَمَنْ كَانَتْ الْأُولَى جُلَّ مَطْلَبُهُ حَارًا وَلَمْ يَجِدْ لِلْجَوَابِ لِسَانًا ..  
 وَمَنْ كَانَتْ الْأُخْرَى لَهُ سَعْيًا نَطَقَ بِالتَّوْحِيدِ فَصَاحَةً وَيَّانَا ..  
 فَيَارَبُّ بِالثَّابِتِ مِنَ الْقَوْلِ ثَبَّتْنَا ، وَلَقْنَا بِفَضْلِكَ أَمْنًا وَرِضْوَانًا ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ ، رَسُولَنَا وَنَبِيُّنَا وَمَوْلَانَا ..  
طَبُّ الْقُلُوبِ وَدَوَائُهَا ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ وَضِيَاؤُهَا ، وَمِنْ وَهْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانَا ..  
كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا الْأَيَّامُ مَضِيْعَةً نَلْهُو وَنَلْعَبُ ، وَمَتَاعُ الْغُرُورِ أَعْمَانَا ..  
نَسْعَى وَرَاءَ نَعِيمٍ وَسَرَابٍ خَادِعٍ ، وَزِينَةَ وَزَخَارِفَ تَزَيَّتْ بِهَا دُنْيَانَا ..  
وَتَفَاخُرٌ وَتَكَاثُرٌ وَتَصَارُعٌ بِلا رَشْدٍ ، وَغَفْلَةٌ عَن خَرَائِبَ كَانَتْ لِلْغَيْرِ أَوْطَانَا ..  
فَبَزَغَ فَجْرُ الْوَجُودِ الَّذِي كَانَ بِزَوَالِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ إِيْدَانَا ..  
وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الْحَقَائِقِ بِمَبْعَثِهِ فَإِذَا جَهَالَاتُ الْقَوْمِ تُحَالِفُ الْأَوْثَانَا ..  
وَتَحْزَبُ الْكُفْرُ وَالْكَبْرُ فِي صَلْفٍ يُعَانِدُ آيَاتِ نَزَلَتْ عَلَى الْمَأْمُونِ تَبْيَانَا ..  
الْحُرُّ وَالْعَبْدُ فِي الْحُقُوقِ سَوَاءٌ ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَا ..  
صَدَقُ الْحَدِيثُ وَصَلَةُ الْأَرْحَامِ وَاجِبَةٌ ، وَبِالْعَفْوِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ نَبِيُّنَا أَوْصَانَا ..  
وَكَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ مَكْرُمَةٌ ، كَذَا رَدُّ الْأَمَانَةِ وَإِنْ كَانَ الْمُؤْتَمِنُ خَوَّانَا ..  
وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ ، وَبِالطُّعْمَةِ الْحَلَالِ يُزِيلُ الرَّبُّ شُكْوَانَا ..  
وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَإِنْ كَانَا عَلَى كُفْرٍ ، وَالصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَتْهَا تَرْفَعُ لِلسَّمَاءِ دَعْوَانَا ..  
وَزَكَاةُ أَمْوَالِنَا طَهَّرَ لَهَا وَنَمَاءٌ ، وَالصَّدَقَةُ خَيْرُ دَوَاءٍ يُشْفَى بِهِ مَرَضَانَا ..  
وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ إِحْسَانٌ ، وَطِيبُ الْكَلَامِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَانَا ..  
مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ غَايَةُ شَرِيْعَتِهِ ، وَبُلُوغُهَا مَيْسُورٌ إِذَا صَلَحَتْ نَوَايَانَا ..  
فِيَارِبُّ طَهَّرْ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ عَائِبَةٍ ، وَأَصْلِحْ ظَوَاهِرَنَا ، وَصَحِّحْ طَوَايِينَا ..  
وَزَكِّ نَفُوسَنَا أَنْتَ خَيْرُ مُلْتَجِيٍّ ، وَاجْعَلِ الدُّنْيَا حَرْثًا لِأَخْرَانَا ..

وَصَلَّ عَلَى مَنْ أَوْلَيْتَهُ بِمَحْمُودِ الْمَقَامِ ، وَمَنْ بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْفَرَعِ أَوْلَانَا ..  
وَعَلَى الصَّحْبِ وَالْآلِ وَمَنْ تَبِعَ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ سَلَامًا يَمْلَأُ الْأَكْوَانَا ..  
أما بعد ،،

فيقول « حذيفة بن اليمان » صاحب رسول الله (ﷺ) وصاحب سرّه : ( كَانَ  
النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ  
يُدْرِكَنِي )<sup>(١)</sup> .. وقد لفت نظري في هذا الحديث حرص الصحابي الجليل على معرفة  
الشرّ .. والمعهود أن يسأل الإنسان عن الخير الذي يمكن له أن يأتيه ، وعن الطاعات  
التي تدنيه من (( الله )) تبارك وتعالى .. ولكن بشيء من التفكير والتأمل تبين لي بُعد  
نظر هذا الصحابي الجليل ، فإن الإنسان قد يغفل عن أمور يراها بسيطة ويكون فيها  
هلاكه .. بل وضياع طاعاته وعباداته .. والدارس لسنة رسول الله (ﷺ) يجد الدليل  
على ذلك في كثير من أحاديثه .. والتي منها على سبيل المثال :

( إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ  
وَادٍ ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْرَهُمْ .. وَإِنَّ  
مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُهُ )<sup>(٢)</sup> .. و ( إِيَّاكُمْ  
وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَلَبًا )<sup>(٣)</sup> ..

بل والأخطر من ذلك ما أجاب به النبي (ﷺ) « معاذ بن جبل » حين سأله قائلاً :  
( يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟! ) فيجيبه قائلاً : ( تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا

(١) رواه البخارى كتاب المناقب . (٢) رواه أحمد والطبرانى عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) .

(٣) رواه ابن ماجه عن عائشة (رضي الله عنها) ، وصححه ابن حبان .

مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ !! (١) ..  
 ويقول (ﷺ) مُحَذَّرًا : ( إِنْ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا  
 بَأْسًا ، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا ) (٢) ..  
 ومن ذلك نرى أن النبي (ﷺ) يُنبِّهنا إلى خطورة اللسان .. هذا العضو الصغير  
 حجمه ، العظيم جرمه .. الذى لا تعب فى إطلاقه ، ولا مؤنة فى تحريكه ، ومع  
 ذلك فكل حرف منه مسطور كما قال تعالى : ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ  
 عَتِيدٌ ) (٣) .. وأهمية اللسان تفوق الوصف ، فهو المعبر عن كل شىء فى الوجود  
 بالإثبات أو بالنفى ، حقًا كان أو باطلاً .. فما من موجود أو معدوم .. خالق أو  
 مخلوق .. معلوم أو متخيل .. مظنون أو موهوم إلا ويتناوله اللسان ، بل وجميع العلوم  
 على الإطلاق لا تُعرَفُ إلا باللسان .. وهو الناطق بالإسلام أو الكفر .. وهو العاصم  
 لصاحبه ، وهو الذى يُرَدِّيه .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : ( رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا  
 تَكَلَّمَ فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ ) (٤) .. وإذ يقول : ( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ) (٥) ..

وبقدر خطورة اللسان ، هناك خطورة عضو آخر ، ألا وهو « القلب » الذى  
 يقول الحق - تبارك وتعالى - عنه : ( يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ  
 بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) (٦) .. والذى يقول عنه نبينا (ﷺ) : ( أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً

(١) رواه الترمذى ، كتاب الإيمان .. (٢) رواه ابن ماجه ، كتاب الفتن .. وورد بنحوه عند الشيخين وأحمد ..

(٣) سورة ق آية ١٨ . رواه البيهقى فى شُعب الإيمان . (٤) رواه والبخارى ومسلم .

(٦) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ  
الْقَلْبُ (١) .. ويقول : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ  
إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ) (٢) ..

والمقصود بـ « القلب » ليس ذلك العضو الصنوبرى الشكل الموجود بالصدر ،  
والذى يضحُّ الدم فى الجسم .. فتلك عضلة حكمها حكم أعضاء الجسم : كالكلىة ،  
والكبد ، والطحال ، وما إلى ذلك .. ولكن المقصود هو ذلك الجوهر الذى لا  
يعرف سرّه إلا (( الله )) كالرُّوح والنَّفْس .. وهو محل العلم ومحل الجهل .. محل  
الإيمان ومحل الكفر .. محل الطاعة ومحل العصيان .. ومحل النِّيَّة التى على أساسها  
يُحاسب الإنسان .. وهو الْمُخَاطَبُ ، وهو الْمُعَاتَبُ ، وهو الْمُعَاقَبُ .. وهذا  
« القلب » حَىٌّ لا يموت بموت جسد صاحبه ..

من ذلك نعلم ونفهم قول القائل : ( الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ) ..  
وقد رأينا - أيها القارئ الكريم - أن نُقدِّم لك فى هذا الكتاب بياناً بأمراض  
اللسان والقلب .. التى حذرنا منها نبينا (ﷺ) .. ووصف لنا دواؤها حتى نعالج  
أنفسنا بأنفسنا ، ونحاسبها قبل أن تحاسب فى يوم يشيب فيه الولدان :  
يوم يَفِرُّ المرء من أخيه .. وأمه وأبيه .. وصاحبته وبنيه ..

و(( الله )) الْمُسْتَعَانُ ... وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ ..

ولا حول ولا قوة إلا بـ (( الله )) العَلِيِّ العَظِيمِ ..

## ياسين رشدى

(١) رواه البخارى ، كتاب الإيمان . (٢) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة .



مَحْظُورَاتُ الْكَلَامِ  
وَأَمْرَاضُ اللِّسَانِ

## تمهيد

ينقسم الكلام إلى أربعة أقسام : ما هو نفع محض .. ما هو ضرر محض .. ما فيه نفع وفيه ضرر .. ما لا نفع فيه ولا ضرر : وهو اللغو الذي لا طائل وراءه .. وأسباب الكلام كثيرة .. منها : التودد والمؤانسة .. أو التسلية وتمضية الوقت .. أو رغبة المتكلم في التباهي والتفاخر .. أو رغبته في معرفة ما لا يعنيه باستدراج محدثه ..

وكل كلام لا يترتب على عدم قوله إثم قد يترتب على قوله إثم ، لأنه قد يدخل صاحبه في أمور تشوبها المبالغة أو الكذب ، كما قد يقود إلى الوقوع في الغيبة والنميمة وهما من الكبائر ..

ومن هنا نتبين فضيلة الصمت ، وصدق من قال : ( إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فَضَّةٍ فَالْسُّكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ ) .. ذلك لأنك إذا تكلمت بالكلمة ، مَلَكَتْكَ .. وإن لَمْ تتكلم بها ، مَلَكَتْهَا ..

فالمرء يكتسب بالصمت أمرين : سلامة الدين .. والفهم عن الناس .. وقد قال بعض الشيوخ : ( إِذَا كَانَ لَابِدٍ مِنَ الْكَلَامِ فَاجْعَلْهُ نِصْفَ الْإِسْتِمَاعِ ، لِأَنَّ لَكَ لِسَانًا وَاحِدًا وَأُذُنَيْنِ ) ..  
وإليك ما يلي :

مَحْظُورَاتُ الْكَلَامِ وَأَمْرَاضُ اللِّسَانِ

## الكلامُ فيما لا يعنِيكَ

قال رسول الله (ﷺ) : ( مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ )<sup>(١)</sup> .. وقد دخل يوماً على أحد أصحابه يعودُه في مرضه فقال له : ( أَبْشِرْ يَا كَعْبُ ) - أى بالشفاء - فقالت أم كعب : هنيئاً لك الجنة يا كَعْبُ - ظنت أن البشرى بالجنة - فقال (ﷺ) : ( مَنْ هَذِهِ الْمُتَأَلِّيةُ عَلَى اللَّهِ !؟ )<sup>(٢)</sup> ، قال : هى أمى يا رسول الله ، فقال : ( وَمَا يُدْرِيكَ يَا أُمَّ كَعْبٍ .. لَعَلَّ كَعْبًا قَالَ مَا لَا يَعْنِيهِ ، أَوْ مَنَعَ مَا لَا يُغْنِيهِ )<sup>(٣)</sup> .. وكان الكلام فيما لا يعنى يحجب العبد عن الجنة ، وكذلك السؤال عما لا يعنيك ، والذي قد تواجهه إزاءه بأحد مواقف ثلاثة :

**الأول :** أن تُعَرِّضَ نفسك للحرج إذا لم تحصل على إجابة .

**الثانى :** أن تُعَرِّضَ المسئول للكذب فتوقعه فى الخطأ .

**الثالث :** أن تُعَرِّضَه للإجهاد والإرهاق بحثاً عن حيلة يتجنب بها الإجابة الصريحة إن كان محافظاً على دينه عالماً بقول النبى (ﷺ) : ( إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ )<sup>(٤)</sup> أى التعريض بالكلام دون التصريح حتى لا يقع فى خطيئة الكذب ..

وكل ذلك لا تحمد عاقبته .. فاشغل نفسك بأمورك .. ودع الخلق للخالق ..

<sup>(١)</sup> رواه الترمذى كتاب الزهد .

<sup>(٢)</sup> المتألين على الله : يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان فى الجنة وفلان فى النار .

<sup>(٣)</sup> رواه ابن أبى الدنيا عن كعب بن عُجرة . <sup>(٤)</sup> رواه البيهقى ، كتاب الشهادات .

## فُضُولُ الْكَلَامِ

هو الكلام الزائد عن الحاجة ، بمعنى أنك لو استطعت أن تُعبّر عن المراد بكلمتين ، فعبرت بثلاث .. كانت الكلمة الثالثة من فضول الكلام الذى لا داعى له .. وكما كثر اللغط كثر الغلط ..

والله تبارك وتعالى يقول : ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ )<sup>(١)</sup> .. ( وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ )<sup>(٢)</sup> .. وبقدر ما يتكلم الإنسان تمتلئ صحائفه ، فيظل فى موقف الحساب يُسأل عن كل كلمة سُطّرت عليه ، وما أحدثته أو تركته من أثر ! .. ومدى الصدق فيها أو الكذب ! ..

## الخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ

من أمثلة الخوض فى الباطل : الكلام عن المعاصى وأهلها .. وكذلك كل كلام ينشأ عنه تحريك الشهوات ، أو إثارة الغرائز ، أو الغيبة ، أو الاعتراض على الغير والطعن فيه ، أو ترديد الإشاعات التى تتناول الناس .. وأكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى الباطل ، والقرآن يحكى قولهم يوم القيامة : ( وَكُنَّا نُخْوِضُ مَعَ الْخَائِضِينَ )<sup>(٣)</sup> .. وقد نهانا ربنا عن الجلوس مع مثل هؤلاء ، وإلا أصابنا ما أصابهم من عذاب بقوله تبارك وتعالى : ( فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ

<sup>(١)</sup> سورة ق آية ١٨ . <sup>(٢)</sup> سورة الانفطار الآيات من ١٠ : ١٢ . <sup>(٣)</sup> سورة المدثر آية ٤٥ .

إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّهُمْ<sup>(١)</sup> .. وليس معنى ذلك أن نكف عن الكلام تمامًا .. وإنما علينا أن نزن الكلام بميزان وضعه لنا الشيوخ ألا وهو قولهم : كل كلام لا يسخط الله ويرضى جلساءك فلا بأس أن تتكلم به ..

## المرء

« المرء » : هو ابتغاء الخلل في كلام الغير ملتمسًا له الخطأ .. سواء أكان ذلك من حيث اللفظ ، أو المعنى ، أم من حيث الموضوع ، حتى يمكن الطعن في كلامه ، وإظهاره بمظهر الكاذب أو المبالغ أو المخطئ وما إلى ذلك .. والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول : ( أَنَا زَعِيمٌ<sup>(٢)</sup> بَيْتٌ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ<sup>(٣)</sup> لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبَيْتٌ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا ، وَبَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ<sup>(٤)</sup> ) .. وربنا تبارك وتعالى يشير إلى هذا المرض بقوله : ( أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ<sup>(٥)</sup> ) .. وأقل ما يُحرم منه الإنسان بالمرء هو ثواب الكلام الطيب ، إذ الكلمة الطيبة صدقة ، فعلينا أن نتجنب هذا المرض بأن نُصدِّق المتكلم ، ونحسن الظن به .. فإذا كان الكلام باطلاً أو كذباً نظرنا : فإن كان لا يتعلق بأمور الدين ، والسكوت عليه لا يعرضنا للإثم كان السكوت خيراً من الكلام .. أما إذا كان متعلقاً بأمور الدين فيجب الرد بلباقة وأدب بشرط العلم

(١) زعيم : ضامن وكفيل .  
(٢) رواه أبو داود ، كتاب الأدب .

(٣) سورة النساء آية ١٤٠ .  
(٤) رَبْضُ الْجَنَّةِ : المراد ما حول الجنة وفي أطرافها .  
(٥) سورة الشورى آية ١٨ .

بالصواب ، والحرص على المودة ، وعدم إثارة البغضاء أو الكراهية .. ويقول « عبد الله بن عمر » (رضى الله عنهما) : ( الْبُرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ : وَجَهٌ طَلِيقٌ .. وكلام ليين ) ..

## الْجَدَلُ

يختلف الجدال عن المراءى في أن هدفه ليس تخطئة المتكلم ، وإنما هدفه أن يَظْهَرَ الجَادِلُ بمظهر العالم وصاحب الحُجَّةِ والبيان .. والجِدَالُ قد يكون بحق وقد يكون بالباطل أو بغير علم : فأما إن كان بالحق فيجب أن يكون بالحُسْنَى لقول الله عز وجل : ( وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا )<sup>(١)</sup> .. ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>(٢)</sup> .. ( وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>(٣)</sup> .. ويقول الإمام « أبو حنيفة النعمان » : ( مَا نَاقَشْتُ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ إِلَّا وَتَمَنَيْتُ أَنْ يُظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ ) .. أما إن كان الجدال عن غير علم ، أو جدلاً بالباطل ، فذاك ليس هدفه إظهار الحق ، وإنما هدفه التفاخر والتباهى والانتصار على الخصم .. والدافع لذلك هو الكبر المهلك لصاحبه .. والله تبارك وتعالى يقول : ( الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ )<sup>(٤)</sup> .. ويقول : ( إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ

(١) سورة البقرة آية ٨٣ . (٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ . (٣) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٤) سورة غافر آية ٣٥ .

هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ<sup>(١)</sup> ..

وخير علاج لهذا المرض أن يسكت الإنسان إذا ما اشتهى الكلام ، وألاً يتكلم إلا إذا اشتهى السكوت .. فإنه عندئذ لن يتكلم إلا بالحق .. ولا يتعرض لفضول الكلام .. وإن أراد تصحيح فكر أو رأي لأحد ، فليكن ذلك سراً فقد قيل : ( النَّصِيحَةُ فِي الْعَلَنِ فَضِيحَةٌ ) ..

## الْخُصُومَةُ

الخصومة باللسان هي اللجاج بالكلام لاستيفاء مال ، أو حق لدى الغير ، سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل .. وهي نتيجة طبيعية لما سبقت الإشارة إليه من جدال ، ومراء ، وخوض في الباطل .. وقد يكون الشُّحُّ هو منشأ الخصومة .. والله تبارك وتعالى يقول : ( وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ )<sup>(٢)</sup> .. ويقول : ( وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )<sup>(٣)</sup> .. وإذا كانت الخصومة بحق ، ولم يتعرض المخاصم لمراء ، أو جدال ، أو فحش في الكلام ، أو إيذاء لمن يخاصم ، أو تحقير له ، أو إثارة للبعضاء والكرهية ، فهي خلاف الأولى ، إذ الأولى الصُّلْحُ ، والصلح خير .. أما إذا كانت الخصومة بالباطل ، أو كان الهدف منها العناد فهي حرام قطعاً ، فليس هناك أذهب للدين ، وأنقص للمروءة ، أو أمتع للذمة ، وأشغل للقلب من الخصومة ..

<sup>(١)</sup> سورة غافر آية ٥٦ .

<sup>(٢)</sup> سورة النساء آية ١٢٨ .

<sup>(٣)</sup> سورة الحشر آية ٩ .

والخصومة تعرض للتبعات ، فالله تبارك وتعالى لا تضره المعاصي ، ولا تنفعه الطاعات ، وقد يغفر ما يتعلق به .. أما ما يتعلق بحقوق العباد فذلك موضوع آخر ، إذ يلزم التحلل منها في الدنيا ، وإلا تعرض للمؤاخذة عليها في الآخرة بالأخذ من حسنات الظالم للمظلوم ، أو الأخذ من سيئات المظلوم وطرحها على الظالم .. ومن أشد أنواع الخصومة ظلماً : الخصومة بغير علم ، كأن تُخاصم شخصاً من أجل شخص آخر ، وأنت تجهل الحقائق أو تسمع من طرف دون أن تسمع من الطرف الآخر ، فذلك يبع لآخرتك بدنياً غيرك ..

وعلاج الخصومة يكون بالعفو والصفح .. والله تبارك وتعالى يقول : ( وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ )<sup>(١)</sup> ، فإذا كان الله عز وجل - مع قدرته على العقاب والانتقام - غفوراً رحيماً .. أفلا نتخلق بذلك فنعفو ونصفح مطيعين أمره في قوله تعالى : ( إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا )<sup>(٢)</sup> .. فالمطلوب من المظلوم أن يُبدى خيراً ، وأن يعفو عن الإساءة ، إذ إن العفو من المروءة .. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وهو القائل : ( وَلَيْنَ صَبْرُهُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ )<sup>(٣)</sup> .. ( وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ )<sup>(٤)</sup> ..

(١) سورة التور آية ٢٢ .

(٢) سورة النساء آية ١٤٩ .

(٣) سورة النحل آية ١٢٦ .

(٤) سورة الشورى آية ٤٣ .

## الفُحْشُ وَبِذَاءَةُ اللِّسَانِ

« الفُحْشُ » : هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة .. والباعث عليه : إما الرغبة في الإيذاء ، أو الاعتياد الناتج عن سوء التربية ، أو مخالطة أصدقاء السوء .. وقد حذرنا النبي (ﷺ) قائلا : ( إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ )<sup>(١)</sup> .. ويقول : ( لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ ، وَلَا اللَّعَانَ ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءِ )<sup>(٢)</sup> .. وحين قال له رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجْفُو<sup>(٣)</sup> عَنْ أَشْيَاءَ فَعَلَّمَنِي .. قَالَ : ( اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرَغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقَى .. وَإِيَّاكَ وَالْمَخِيلَةَ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ .. وَإِنْ أَمْرٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ ، فَيَكُونَ لَكَ أَجْرُهُ ، وَعَلَيْهِ إِثْمُهُ .. وَلَا تَشْتُمَنَّ أَحَدًا )<sup>(٥)</sup> .. وسأله آخر قائلا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي يَشْتُمُنِي وَهُوَ دُونِي ، عَلَيَّ بَأْسٌ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ ؟ قَالَ : ( الْمُسْتَبَانَ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ )<sup>(٦)</sup> .. ويقول (ﷺ) ( سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ )<sup>(٧)</sup> ..

والمؤمن عفيف اللسان يختار العبارات اللبقة ، والكنايات اللطيفة .. وخير ما نتعلم منه القرآن .. فحين أراد الكلام عن الجماع عبّر عنه بألفاظ أخرى غاية في

(١) رواه أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة . (٢) رواه الترمذی ، كتاب البر والصلة .

(٣) أجفو : أى أجهل . (٤) المخيلة : الفخر والتكبر . (٥) رواه أحمد ، مسند البصريين .

(٦) رواه أحمد ، مسند الشاميين . (٧) رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

الرُّقِيِّ مِثْلَ : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ) (١) .. (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) (٢) ..  
 وحين أراد التعبير عن قضاء الحاجة عبّر عن الفعل بالمكان الذي يحدث فيه : (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) (٣) .. والفقهاء حين ألفوا وصنّفوا كتب الفقه كانوا حريصين جدًا في اختيار الألفاظ مثل قولهم في نواقض الوضوء : (خُرُوجُ شَيْءٍ مِنْ أَحَدِ السَّبِيلَيْنِ) بدلًا من قولهم : التبوّل والتبرّز .. فعلينا أن نختار أرقّ الألفاظ ، وأعذب الكلمات ، ونتعود أن يكون كلامنا مهذبًا راقياً لنكون قدوة لأبنائنا ، ومن حولنا ..

## اللَّعْنُ

أصل « اللعن » : الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى .. وقد ورد في القرآن موجهًا لإبليس حين قال له رب العزة : ( وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ) (٤) .. فإذا لعن إنسان آخر أو اتهمه بأنه ملعون فكأنه حكم على الله أو فرض عليه أن يلعن ذلك الشخص .. والرسول (ﷺ) يقول : ( لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ ) (٥) .. ولا تصح اللعنة إلا بالتعميم الذي ورد في القرآن مثل : ( فَالْعَنَةُ عَلَى الْكٰفِرِينَ ) (٦) .. ( لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) (٧) .. والظلم بمعنى الشرك .. وعليه فلا يستحق اللعن إلا كافر أو

(١) سورة الأعراف آية ١٨٩ . (٢) ، (٣) سورة المائدة آية ٦ . (٤) سورة ص آية ٧٨ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الأدب . (٦) سورة البقرة آية ٨٩ . (٧) سورة الأعراف آية ٤٤ .

مشارك بشرط أن يموت على ذلك .. ويقول الرسول (ﷺ) : ( إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )<sup>(١)</sup> .. فأى حرمان هذا ! .. ومقام الشهادة والشفاعة من أجل المقامات يوم القيامة وأعلاها إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ( فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا )<sup>(٢)</sup> .. ويقول : ( وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ )<sup>(٣)</sup> .. فالصالحون يشفعون لذويهم فيلحقهم الله بهم .. فكيف يجرم الإنسان نفسه من هذا المقام العالى بلفظ يطلقه لسانه .. بل قد يلعن الإنسان شيئاً فترتد اللعنة عليه .. ويقول أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ( مَا لَعَنَ الْأَرْضَ أَحَدٌ إِلَّا قَالَتْ : لَعَنَ اللَّهُ أَعْصَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ )<sup>(٤)</sup> .. والأرض لا تعصى ربها .. ومن المحذور أيضاً أن تدعو بالشر على أحد .. وقد ورد في الخبر : ( إِذَا دَعَا الرَّجُلُ عَلَى ظَالِمِهِ اسْتَوْفَى حَقَّهُ ، فَإِنْ زَادَ أَصْبَحَ لِلظَّالِمِ لَدَيْهِ حَقٌّ ) .. وفي الحديث القدسي : ( إِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ تَدْعُو عَلَىٰ آخَرَ أَنَّهُ ظَلَمَكَ .. وَإِنْ آخَرَ يَدْعُو عَلَيْكَ أَنَّكَ ظَلَمْتَهُ .. فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وَعَلَيْكَ .. وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْنَاكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَوْسِعْكُمْ عَفْوِي )<sup>(٥)</sup> .. والمسموح به في حالة التعرض للظلم أن يقول المظلوم : ظلمني حتى .. أكل مالي .. إلخ .. وليس الدعاء على الظالم ، وهو المفهوم من قوله تعالى : ( لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا )<sup>(٦)</sup> .. وحين أُوذِيَ سيدنا « نوح »

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة . (٢) سورة النساء آية ٤١ . (٣) سورة الطور آية ٢١ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا كتاب ذم الكذب . (٥) رواه الحاكم عن أنس (رضي الله عنه) . (٦) سورة النساء آية ١٤٨ .

دَعَا قَائِلًا ، كما حكى عنه القرآن : ( فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ )<sup>(١)</sup> فكان من

ثمرة هذا الدعاء المهذب ما حكاه القرآن : ( فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَّرٍ )

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ )<sup>(٢)</sup> ..

فليكن توجهنا إلى الله وشكوانا إليه ، فإنه يسمع ويرى ..

## المُزَاحُ

يُقال : إن المُزَاح سُمِّي مُزَاحًا لأنه يُزيحُ صاحبه عن الحق ، ويقال أيضًا : إن

لكل شيء بذورًا .. وبذور العداوة المُزَاح .. والمُزَاح منه ما هو مُباح : وهو ما لا

يسخط الرب ، ولا يغضب من تُمازح ، ولا يكون إلا حقًا ، وقد قال النبي (ﷺ) :

( إِنِّي لَأُمزِحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا )<sup>(٣)</sup> .. ومن المُزَاح ما هو محظور : وهو ما

يذهب بالوقار ، ويؤدي إلى كثرة الضحك ، والغفلة ، والبعد عن الله .. فإن كثرة

الضحك تُميت القلب .. وقد خرج النبي (ﷺ) على رهط من أصحابه يضحكون

ويتحدثون ، فقال : ( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ،

وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا )<sup>(٤)</sup> .. ويُروى أن أحد الصالحين رأى رجلاً من إخوانه مستغرقاً في

الضحك ، فقال له : هل أتاك أنك تردُّ جهنم ؟ قال : نعم .. فإن الله يقول : ( وَإِنْ

مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا )<sup>(٥)</sup> ، فقال له : وهل أتاك أنك تنجو

<sup>(١)</sup> سورة القمر آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

<sup>(٢)</sup> رواه الطبراني في المعجم الصغير .

<sup>(٣)</sup> سورة مريم آية ٧١ .

منها ؟ قال : لا .. قال : فَفِيمَ الضَّحِكِ إِذَا ؟!! ..

ومن المزاح ما يكون حراماً ويؤدى إلى غضب الله عز وجل ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : ( إِنْ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أْبَعْدِ مِنَ الثُّرَيَّا <sup>(١)</sup> ) .. <sup>(٢)</sup>

## السُّخْرِيَّة

« السُّخْرِيَّة » هى الاستهزاء بشخص ، أو تحقيره ، أو ذكر عيوبه ونقائصه فى : كلامه ، أو فعله ، أو صورته ، أو ما يَمُتُّ إليه بصلَّة .. وقد يكون ذلك : بالقول ، أو التقليد ، أو الإشارة ، أو الكتابة ، أو الرسم ( الكاريكاتير ) .. وقد ورد النهى عن السُّخْرِيَّة مُشَدَّدًا فى القرآن ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ( يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ <sup>(٣)</sup> ) .. ويُفهم من الآية أن الساخر يكون دائماً أقل شأنًا ممن يسخر منه .. حتى وإن كان الساخر أرفع شأنًا ممن يسخر منه ، فقد هبط بسخريته ، وانخفض عنه منزلة عند الله ..

والسخرية إن كانت من الصورة والشكل ، فالله هو الخالق البارئ المصور الذى يقول : ( هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ) <sup>(٤)</sup> .. وإن كانت السخرية

(١) الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم تبدو متقاربة . رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

(٢) سورة الحجرات آية ١١ . (٣) سورة آل عمران آية ٦ .

من الصفة أو الفقر ، فالله هو الذى أقام العباد فيما أراد وهو الرازق : ( وَأَنَّهُ هُوَ  
 أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ )<sup>(١)</sup> .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : ( لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ  
 وَيَيْتَلِيكَ )<sup>(٢)</sup> ، وذلك فيمن يفرح بما وقع فيه أخاه من خطأ أو معصية ، أو بما أصابه  
 من بلاء بدلاً من أن يدعو له .. ويقول (ﷺ) أيضاً : ( مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ  
 مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ )<sup>(٣)</sup> ..

## الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه مُثْنِيًّا على سيدنا « إسماعيل » : ( وَادْكُرْ فِي  
 الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا )<sup>(٤)</sup> .. ويقول آمراً بالوفاء  
 بالعهد : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ )<sup>(٥)</sup> .. والصدق في الوعد من  
 علامات الإيمان والتقوى .. والخلف في الوعد من علامات النفاق .. والرسول (ﷺ)  
 يقول : ( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : مَنْ  
 إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ )<sup>(٦)</sup> .. ويقول : ( أَرْبَعٌ  
 خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ،  
 وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ .. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ  
 خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَاهَا )<sup>(٧)</sup> ..

(١) سورة النجم آية ٤٨ . (٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط . (٣) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة .  
 (٤) سورة مريم آية ٥٤ . (٥) سورة المائدة آية ١ . (٦) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .  
 (٧) رواه البخارى ، كتاب الجزية والموادعة .

لذلك نصحنا الشيوخ بعدم الإسراف في الوعود .. وأن لا نعد إلا إذا كنا عازمين على الوفاء ، قادرين عليه ، وأن نلحق الوعد بكلمة رجاء مثل : ( أرجو أن أفعل ) .. أو نعلق الأمر بالمشيئة بقولنا : ( سأفعل إن شاء الله ) ، وبذلك نخرج من دائرة العزم والتصميم على فعل ما لا نملكه ، فقد تحول الظروف دون الوفاء .. وفي هذه الحالة فلا إثم علينا ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )<sup>(١)</sup> ..

## إِفْضَاءُ السِّرِّ

سِرُّكَ مَعَكَ ، فَإِنْ أَنْتَ كَتَمْتَهُ فَالْخِيَارُ لَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ أَفْشَيْتَهُ فَالْخِيَارُ عَلَيْكَ .. وحديث أخيك لك في السرِّ أمانة ، ولو لم يطلب منك الكتمان ، لأن النبي ﷺ يقول : ( إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ انْفَتَحَ فِيهِ أَمَانَةٌ )<sup>(٢)</sup> .. والأمانة مسعولة خطيرة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة ، وربنا يقول : ( يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ )<sup>(٣)</sup> .. كما أن إفشاء أخيك بسرِّه ثقة منه فيك .. فعليك أن تشير عليه بالصالح وبما تحبه لنفسك ، فقد قال رسول الله ﷺ : ( الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ )<sup>(٤)</sup> أى مؤتمن على السر وعلى الرأى الذى يشير به .. وإذا كان حديث أخيك لك لا يمثل سرًّا فى نظرك ، فقد يمثل سرًّا فى نظره ، فالذى يُقدَّر السرُّ صاحبه .. وحتى لو لم يكن سرًّا وتحدثت به ، فقد وقعت فى فضول الكلام أو فى الخوض فى الباطل ..

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .  
(٢) رواه أبو داود كتاب الأدب .  
(٣) سورة الأنفال آية ٢٧ .  
(٤) رواه الترمذى كتاب الأدب .

## الكَذِبُ

« الكَذِبُ » : هو الإخبار عن شيء بخلاف حقيقته .. والصِّدْقُ والكَذِبُ يتصارعان في القلب حتى يُخْرِجَ أحدهما الآخرَ .. فالصّادق من الناس هو الذي اعتاد الصِّدْقُ في كلامه ، وانتصر الصّدق في قلبه على الكذب فهو يَصْدُقُ ، ويتحرّى الصّدق في حديثه حتى يُكْتَبَ عند الله صِدِّيقًا .. أما الذي انتصر الكذب على الصّدق في قلبه فهو يكذب ، ويتحرّى الكذب في حديثه حتى يُكْتَبَ عند الله كَذَابًا .. والمؤمن لا يكذب .. فقد سئل رسول الله (ﷺ) : يا نبي الله ، هل يزني المؤمن؟! قال : قد يكون ذلك .. قيل : يا رسول الله ، هل يسرق المؤمن؟! قال : قد يكون ذلك .. قيل : يا نبي الله ، هل يكذب المؤمن؟! قال : لا .. ثم أتبعها (ﷺ) بقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (١) .. (٢)

إذا فقد يقع المؤمن في بعض الكبائر ثم يتوب .. وإن كانت الكبائر تنتقص من الإيمان .. مصداقاً لقول رسول الله (ﷺ) : ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن .. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .. ولا ينتهبُ نهباً (٣) يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن ) (٤) .. ولكن المؤمن لا يكذب أبداً ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : ( كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ ) (٥) .. والكذب درجات .. وأشدُّ

(١) رواه الخرائطيّ كتاب مساوي الأفعال .

(٢) رواه البخاريّ كتاب الحدود .

(٣) سورة النحل آية ١٠٥ .

(٤) النبهة : المال المأخوذ على وجه القهر والعلانية .

(٥) رواه أبو داود كتاب الأدب .

أنواعه : الكذب على الله ، أو الكذب على رسول الله .. ومثال الكذب على الله : الكذب فى الرؤيا ، لأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .. ومثال الكذب على رسول الله (ﷺ) : نسبة أحاديث إليه لم تصدر عنه .. ونبينا (ﷺ) يقول : ( مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفًّا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ !! وَلَنْ يَفْعَلَ )<sup>(١)</sup> .. ويقول : ( أَفْرَى الْفِرَى مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَأَفْرَى الْفِرَى مَنْ أَرَى عَيْنِيهِ فِي النَّوْمِ مَا لَمْ تَرِيَا ، وَمَنْ غَيْرَ تُخُومَ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضِ )<sup>(٣)</sup> .. ومن أخطر أنواع الكذب أيضا شهادة الزور .. فقد قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه يوماً : أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ .. وَكَانَ مُتَّكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ .. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قَالُوا : لَا يَسْكُتُ !!<sup>(٤)</sup> ..

وأما « الكذب فى اليمين » فهو أنواع .. وله أحكامه :

الأول « يمين اللغو » : وهو الذى يأتى على اللسان مع الكلام دون قصد الحلف .. مثل قول الرجل لضيفه : ( بالله تأكل ) .. ( والله تجلس ) .. إلخ .. وفيه يقول الحق تبارك وتعالى : ( لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ )<sup>(٥)</sup> .. ولغو اليمين ، وإن كان الإنسان غير مؤاخذ به ، ولكن عليه أن يتجنبه لأنه قد يؤدى به إلى الحلف الكاذب .. كما أن كثرة الحلف تفقد الناس ثقتهم بالحالف .. وربنا تبارك وتعالى يقول : ( وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ )<sup>(٦)</sup> ..

(١) رواه البخارى كتاب التعبير . (٢) تخوم : حدود . (٣) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة . (٤) رواه البخارى كتاب الأدب . (٥) سورة البقرة آية ٢٢٥ . (٦) سورة القلم آية ١٠ .

الثاني « **يَمِينُ الْكَفَّارَةِ** » : وهو أن يحلف الإنسان على أن يفعل شيئاً أو على ألا يفعل شيئاً في المستقبل .. ثم يظهر له أن قد أخطأ أو تسرع ، ويريد أن يعود في عزمه فله أن يكفر عن يمينه ويأتي بالذى هو خير ، كما قال رسول الله (ﷺ) : ( **وَاللَّهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا**)<sup>(١)</sup> ، و« كفارة اليمين » هي كما جاءت في قول الله تعالى : ( **فَكَفَّرْتُمُوهُ** إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**)<sup>(٢)</sup> .. مع العلم بأن الصيام في هذه الحالة لا يجوز للقادر على الإطعام أو الكسوة ..

الثالث « **الْيَمِينُ الْعَمُوسُ** » : وسُمي كذلك لأنه يغمس صاحبه في النار .. وهو أن يحلف الشخص على أمر مضى متعمداً الكذب .. وهذا اليمين لا كفارة له إلا التوبة ، وإصلاح ما أفسده اليمين : كضياع الحقوق ، وأحكام القضاء المترتبة على هذا اليمين الكاذب ..

هذا .. وحرمة الكذب تتفاوت بتفاوت الآثار المترتبة عليه .. وقد يبدو للبعض أن كذبهم لا يترتب عليه آثار ضارة ، وهم واهمون في ذلك .. فالكذب كذب .. وما من كذب إلا وله أثر ضار .. فعن عبد الله بن عامر قال : **جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بَيْتًا وَأَنَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، تَعَالَ أُعْطِيكَ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : ( مَا أَرَدْتُ أَنْ تُعْطِيَهُ ؟ ) .. قَالَتْ : أَرَدْتُ**

<sup>(١)</sup> رواه البخارى كتاب الأيمان والندور .

<sup>(٢)</sup> سورة المائدة آية ٨٩ .

أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا .. قَالَ : ( أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي لَكُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ )<sup>(١)</sup> ..

ولما كان الإنسان قد يتعرض لأسئلة لا يريد الإجابة عنها أو لأمر لا يريد التصريح بها فقد أوجدت السُّنَّةُ لذلك مخرجًا بقول النبي (ﷺ) : ( إِنْ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكُذِبِ )<sup>(٢)</sup> ، والمعاريض هي أن تُعْرَضَ بالكلام بدلا من أن تُصْرَحَ به بشرط أن يكون صدقا ، وأن تكون هناك ضرورة لذلك ، لأنه لو استوى التعريض والتصريح امتنع التعريض .. ومثال التعريض : ما حدث في قصة الهجرة ، فحين كان الناس يسألون أبا بكر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) - وهما في طريقهما إلى المدينة - : ( يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ ) .. كان يجيب قائلا : ( هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ )<sup>(٣)</sup> ، فكان (رضي الله عنه) يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ ، والناس يعتقدون أنه إِنَّمَا يَعْنِي طريق السفر ..

وهناك من الكذب ما هو مُرَخَّصٌ فيه ، كما أنه يصلح في بعض مواطن لا يصلح فيها الصدق .. فعَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ : ( مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) رَخَّصَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الرَّجُلِ يَقُولُ الْقَوْلَ يُرِيدُ بِهِ الْإِصْلَاحَ .. وَالرَّجُلِ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ .. وَالرَّجُلِ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا )<sup>(٤)</sup> .. كما ورد عن النبي (ﷺ) قوله : ( لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا )<sup>(٥)</sup> ..

وقد يكون الكذب واجبا إذا ما أدَّى الصِّدْقُ إلى سفك الدماء ، أو هتك

(١) رواه البيهقي كتاب الشهادات . (٢) رواه البيهقي كتاب الشهادات . (٣) رواه البخاري كتاب المناقب .

(٤) رواه أحمد مسند القبائل . (٥) رواه البخاري كتاب الصلح .

الأعراض ، أو سلب الأموال بغير حق .. وفي كل الأحوال علينا أن نتنبه لنصيحة سيد الخلق (ﷺ) حين يقول : ( عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا .. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا )<sup>(١)</sup> ..

## الغيبة

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : ( أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ .. قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟! قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ )<sup>(٢)</sup> ..

و« الْبُهْتَانُ » أَعْظَمُ الْكَذِبِ .. وَيُشَبَّهُ رَبَّنَا الْمَغْتَابَ بِأَكْلِ الْمَيْتَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ )<sup>(٣)</sup> ..

ويشرح البهتان بقوله : ( وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا )<sup>(٤)</sup> .. ويُنذِرُ النَّبِيُّ (ﷺ) وَيُحَذِّرُ الْمَغْتَابِينَ فَيَقُولُ : ( يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا

<sup>(١)</sup> رواه مسلم كتاب البر والصلة . <sup>(٢)</sup> رواه مسلم كتاب البر والصلة . <sup>(٣)</sup> سورة الحجرات آية ١٢ .

<sup>(٤)</sup> سورة الأحزاب آية ٥٨ .

تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهَ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ (١) ..

و« الغيبة » يستوى فيها : التصريح ، والتعريض ، والإيماء ، والإشارة ، والحركة ، والتقليد ، والغمز ، واللمز ، بحيث يفهم مقصود المتكلم ، كما يستوى فيها الحى والميت .. وقد تكون الغيبة بالكتابة أيضا .. وهؤلاء لا يكتفون بما تسطره عليهم الملائكة ، وإنما يسطرون هم على أنفسهم ..

وكما يرتبط البهتان بالغيبة يرتبط بها الإفك .. و« الإفك » هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، وأسوأه وأقبحه وأفحشه .. وسُمي الكذب إفكاً ، لأنه قولٌ مأفوك عن وجهه ، أى مقلوب مصروف عن الحقيقة ، من « أفك الشيء » أى قلبه وصرفه عن وجهه .. و« إشاعة الإفك » : هى أن تقول عن شخص ما نُقل إليك عنه دون أن تتيقن من صدقه ، وإن كنت أميناً فى النقل .. وجاء مثالها فى قول الله عز وجل : ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) (٢) .. ويبين الله تبارك وتعالى ما يجب على المسلم عند سماعه شيئاً عن غيره فيقول : (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ) (٣) ..

وقد يلبس الشيطان الغيبة ثوب الحق فتبدو سليمة من حيث الشكل ، ويقع صاحبها فى المحذور .. ومن أمثلة ذلك :

(١) رواه أحمد مسند البصريين . (٢) سورة النور آية ١٥ . (٣) سورة النور آية ١٢ .

١ - الاغتياب تحت مظلة الكاره للمُنكر : وإن كان ذلك حقاً فالواجب أن يتم النصح بلباقة وفي السر .. والدعاء للعاصي بالهداية أولى من فضحه .

٢ - الاغتياب تحت مظلة الغضب (( لله )) أن تُنتَهَكَ مَحَارِمُهُ .

٣ - الاغتياب تحت مظلة الرحمة بمن تغتابه .. والحرص عليه .

٤ - الاغتياب تحت مظلة التعجب ، والاندهاش ، وعدم التصديق .

هذا .. وتتضح خطورة الغيبة من قول النبي (ﷺ) : ( مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ

لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ <sup>(١)</sup> مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ) <sup>(٢)</sup> ..

فيفاجأ الذى اغتاب بتبعات الغيبة ، فإذا به مُعَرَّضٌ لِجَهَنَّمَ نتيجة كلام ألقاه لسانه .. وليس لأنه زنى ، أو قتل ، أو سرق .. بل قد يُؤخذ ثواب صلاته ، وصيامه ، وحجّه ، فيضاف إلى ميزان من اغتابه ، لتعويضه عما أصابه من لسان صاحبه ، ويتحمل هو نتيجة معاصى وفسق من اغتابه ، فيدخل الذى اغتاب النار بسَيِّئَاتٍ لم يرتكبها ، ويدخل من اغتابه الجنة بأعمال لم يعملها .. وهذا أمر لو تأمله الإنسان ما نطق بكلمة سيئة فى حق أحد ..

وكثير من العلماء لا يرون العبادة الحقة فى كثرة الصلاة والصيام ، إذ ليس فيها مشقّة ، وقد يقوم بها البرّ والفاجر - وخصوصاً إذا ما اعتادها من الصّغر - وإنما يرونها فى الكفّ عن أعراض الناس .. وهذا هو التعبّد الحقيقى الذى يحتاج إلى جهاد النفس ..

<sup>(١)</sup> يتحلله : يطلب منه أن يسامحه ويعفو عنه .

<sup>(٢)</sup> رواه البخارى كتاب الرقاق .

## بَوَاعِثُ الْغَيْبَةِ وَعِلَاجُهَا :

لكي نعالج هذا المرض الخطير الذي يهلك صاحبه لا بد أن نفتش عن الباعث والذي لا يخرج عن الآتى :

- ١- إشفاء الغيظ الناتج عن الحقد والغضب .
- ٢- موافقة الجلساء ومجاملتهم .
- ٣- الاستهزاء والسخرية .
- ٤- تزكية النفس بتنقيص الغير .
- ٥- الحسد الذي يؤدي إلى إظهار عيوب المحسود حتى يتوقف الناس عن مدحه أو الإعجاب به .
- ٦- تضيئة الوقت والتسلية .

وبمعرفة الباعث على الغيبة يسهل علينا العلاج ، الذى يتمثل فى الآتى :

١ - العِلْمُ بغضب (( الله )) على المغتاب ، وأنه تبارك وتعالى يعاقبه على الغيبة ، وأن قبول توبته غير مضمون :

إذ إن الغيبة قد تكون أشد من الزنا الذى هو حق متعلق بالله .. فقد يتوب الزانى ويقبل الله توبته ، بل ويبدل سيئاته حسنات .. أما المغتاب إن تاب فلا بد لقبول التوبة من مسامحة مَنْ وقع فى عَرَضِهِ له .. والنبي (ﷺ) يقول : ( كَلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرَضُهُ ) <sup>(١)</sup> .. و« العَرَضُ » : هو موضع المدح

<sup>(١)</sup> رواه مسلم كتاب البر والصلة .

والذم من الإنسان .. فإن ذممت أحداً فقد وقعت في عرضه ..

## ٢ - الانشغال بعيوب النفس عن عيوب الغير :

وعندئذ لن يكون هناك متسع للغيبة .. ورحم الله امرءاً شغلته عيوبه عن عيوب

الناس ..

## ٣ - البحث في النفس عن الباعث على الغيبة ومحاوله دفعه :

فإن كان الباعث هو إشفاء الغيظ ، وإنفاذ الغضب ، فليحذر المعتاب أن ينفذ

الله غَضَبَهُ فِيهِ ، وليعلم أن الله يَرْحَمُ مَنْ عِبَادَهُ الرَّحَمَاءَ ، وعليه بكظم غيظه ، والعفو ،

والصفح ، وليتذكر قول الله سبحانه وتعالى : ( وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ

يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ )<sup>(١)</sup> .. وقوله : ( وَاللَّكْظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ )<sup>(٢)</sup> .. وإن كان الباعث هو مجاملة المجلساء فليعلم أنه شريك في الإثم

ولو لم يشترك في الغيبة .. وليتنبه لقول النبي (ﷺ) : ( مَنْ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ

النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنْ التَّمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى

النَّاسِ )<sup>(٣)</sup> .. وعليه أن يردَّ غيبة المسلم ، ليفوز بما بشرَّ به النبي (ﷺ) في قوله : ( مَنْ

رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )<sup>(٤)</sup> .. أما إذا لم يستطع رد

غيبة المسلم لسبب أو لآخر ، فعليه القيام من هذا المجلس التزاماً بقول الله تعالى : ( فَلَا

تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ )<sup>(٥)</sup> .. أما إذا كان

(١) سورة النور آية ٢٢ . (٢) سورة آل عمران آية ١٣٤ . (٣) رواه الترمذى كتاب الزهد .

(٤) رواه الترمذى كتاب البر والصلة . (٥) سورة النساء آية ١٤٠ .

الباعث على الغيبة هو تزكية النفس عند الناس بتنقيص الغير .. فهو واهم في ذلك وليسأل نفسه أولاً : هل زكاها عند الله؟! : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ ) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١) .. كما أن تزكية النفس عند الناس من الأمور المحظورة ، والله تبارك وتعالى يشير إلى ذلك بقوله : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ) أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٢) ..

وأما إن كان الباعث على الغيبة هو الحسد فقد جمع المغتاب لنفسه عذاب الدنيا والآخرة .. فالحاسد مغلول مهموم في الدنيا معاقب يوم القيامة .. ونبينا (ﷺ) يقول : ( إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ) (٣) ..

### الأَعذارُ المَبِيحةُ للغِيبَةِ :

هناك أنواع من الغيبة يعفو الله عنها لضرورتها ، مع الأخذ في الاعتبار أن الله عليم بذات الصدور ، وأن العبرة بالنية .. وإليك أمثلة ذلك :

١- التَّظَلُّمُ :

إذ يُباح للمتظلم أن يبين الظلم الذي وقع عليه حتى يصل إليه حقه ، ومما يؤكد ذلك قول النبي (ﷺ) : ( إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ) (٤) .. وقوله : ( لِيُ الْوَأَجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعَرِضُهُ ) (٥) .. و« لِي الْوَأَجِدِ » : هو مماثلة الغنى في أداء حق الغير .. فإن اشتكى المظلوم إلى القاضى فقد وقع في الغيبة ، ولكنها غيبة معفو عنها لضرورتها .

(١) سورة الشمس الآيات ٩ ، ١٠ . (٢) سورة النساء الآيات ٤٩ ، ٥٠ . (٣) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(٤) رواه البخارى كتاب الهبة . (٥) رواه البخارى كتاب الاستقراض .

## ٢- تغيير المنكر ورد العاصي إلى نهج الصلاح بالتصريح :

إذا لم يكن من ذلك بُدٌّ - بشرط صدق النية وعدم المغالاة - كذكر الأم عيوب أولادها لأبيهم لإصلاح شأنهم .

## ٣- الاستفتاء لمعرفة الصواب :

كما حدث حين ذهبت « هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ » إلى النبي (ﷺ) تستفتيه فقالت :  
( **إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ** )<sup>(١)</sup> فهي تشكو إمساك زوجها ، وتسال هل عليها إثم إن أخذت من ماله دون علمه .

## ٤- التعريف بالشخص :

بذكر عيب قد اشتهر به مثل : الأعور ، الأسود ، الأعرج ، إن كنت لا تقصد التشهير وكان المعيوب لا يكرهه أن يذكر به كما جاء في قوله عز وجل : ( **عَبَسَ وَتَوَلَّى** )<sup>(٢)</sup> **أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى** ) .

## ٥- تنبيه الناس وتذكيرهم :

حتى لا يقعوا فيما وقع فيه من تغتابه بشرط أن يكون مجاهرًا بالمعصية مفتخرًا بفجوره ، كما حكى القرآن عن قارون وأمثاله .

## ٦- الأمانة في إبداء الرأي :

إذ إن المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ، فإذا دعت الضرورة للتصريح بعيوب من يُؤخذ رأيك فيه ، جاز ذلك : كأخذ الرأي في الخاطب لفتاة ، أو طالب المشاركة في تجارة ..

(١) سورة عبس الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب المظالم والغصب .

وما إلى ذلك .

## ٧- التحذير لمن يهتك أمره :

كما حدث في قصة « يُوسُف » التي حكى عنها القرآن الكريم : ( قَالَ يَبْنِي  
لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا <sup>ط</sup> إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ  
مُبِينٌ )<sup>(١)</sup> .

وفي كل الأحوال على المغتاب أن يستغفر الله ، ويتوب إليه ، ويحاول أن يدعو  
لمن وقع في عَرَضِهِ ، ويتصدق عنه إذا كان طَلَبُ السَّمَاحِ مِنْهُ مُتَعَدِّراً : لوفاته ، أو  
خشية نشوء العداوة ، أو البغضاء ، أو الوقعة بين الناس .. أما إذا كانت المصارحة  
وطلب العفو مُمَكِّنَةً فَإِنَّهَا تَكُونُ وَاجِبَةً حَتَّى تَبْرَأَ الذِّمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ يَتْتَصَفُ اللَّهُ  
فِيهِ لِلْمُظْلَمِ مِنَ الظَّالِمِ بِالأخذ من حسنات الظالم للمظلوم حتى إذا فرغت حسناته ،  
أخذ من سيئات المظلوم فَطُرِحَتْ عَلَى الظَّالِمِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ..

## الغَيْبَةُ بِالقَلْبِ :

وهي الظن السَّيِّئُ بالغير .. و« الظن » : هو ميل القلب إلى اعتقاد الشيء ..  
فكما يحرم عليك أن تذكر أخاك للناس بسوء ، يَحْرُمُ عَلَيْكَ أَنْ تَذَكَرَهُ لِنَفْسِكَ  
بسوء .. وتكمن الخطورة في أنك تُحَاسِبُ عَلَى هَذَا الظن السَّيِّئِ ولو لم تحرك  
به لسانك .. والظن يؤدي بالضرورة إلى إثم أكبر ، إذ يترتب عليه التجسس لإثبات  
ما اعتقده القلب ، وهو محرَّمٌ وَمُؤْتَمِّمٌ بنص القرآن : ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا

(١) سورة يوسف آية ٥ .

مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا (١) .. وهكذا  
يشعرنا الترتيب في الآية أن الظن يقود إلى التجسس ، ثم إلى الغيبة .. كما يتبين من  
الآية أن الظن نوعان :

« ظَنُّ السُّوءِ » : وهو ما أشار إليه القرآن بقوله : ( بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنَ يَنْقَلِبَ  
الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا  
وَكَُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ) (٢) ..

« ظَنُّ الْخَيْرِ » : وهو ما أشار إليه القرآن في قوله : ( لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ  
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ) (٣) ..

والشيطان هو الذى يزين ظن السوء فى القلب ، ولا شك أن الشيطان هو أفسق  
الفساق ، إذ يحكى عنه القرآن فيقول : ( فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ  
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) (٤) .. ومن هنا كان على الإنسان أن يسأل نفسه إذا نشأ ظن السوء  
فى قلبه : من الذى ألقى فيه هذا الظن؟! إنه الشيطان لا محالة .. فيرجع إلى قول الله  
عز وجل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ  
فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) (٥) .. فيرجع عن ظنه السيئ ، ويظن الخير  
بأخيه ، فيطرد ظن الخير ظن السوء من القلب .. وعليه أن يستغفر ، ويتوب إلى الله ،  
ويدعو لأخيه بخير ، إذ نادراً ما يصادف الظن حقيقة ويقيناً .. والنبي (ﷺ) يحذرنا من

(١) سورة النور آية ١٢ .

(٢) سورة الفتح آية ١٢ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٢ .

(٤) سورة الحجرات آية ٦ .

(٥) سورة الكهف آية ٥٠ .

الظن فيقول : ( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ )<sup>(١)</sup> .. وربنا تبارك  
وتعالى يقول : ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )<sup>(٢)</sup> ..

## النَّمِيمَةُ

هي نقل كلام إنسان عن إنسان آخر إلى ذلك الذي قيل عنه الكلام .. وقد  
عَرَفَهَا بعض العلماء بقولهم : « النَّمِيمَةُ » إفشاء السِّرِّ ، وكشف السِّتْرِ عن كل ما  
يُكْرَهُ كشفه .. ولا يشترط أن تكون بالتصريح فقد تكون : بالتعريض ، أو الإشارة ،  
أو الإيماء ، أو الكتابة .. وسواء أكان المنقول عيياً أو نقصاً أم لم يكن كذلك مادام  
صاحبه قد كره كَشْفَهُ .. إلا أن يكون في النقل مصلحة عامة للمسلمين ، أو درء  
لمفسدة .. والنميمة أشدُّ خطراً من الغيبة لأنها توقع بين الناس العداوة ، والبغضاء ،  
وتقطع الأرحام ، وتخرب البيوت .. لذلك حذر النبي (ﷺ) ونَبَّه فقال : ( لَا يَدْخُلُ  
الْجَنَّةَ نَمَامٌ )<sup>(٣)</sup> .. وقال : ( أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ،  
قَالَ : الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى .. ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟  
الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنْتَ )<sup>(٤)</sup> ..  
وقد ورد ذم النميمة بأبشع صورة في قوله تعالى : ( وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ

(١) رواه البخارى كتاب الأدب . (٢) سورة النحل آية ٧٤ . (٣) رواه مسلم كتاب الإيمان .

(٤) البراء : جمع برئ وهو البعيد عن التهم .. والعنت : المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا ،  
والحديث يحتمل كلها .

(٥) رواه أحمد مسند القبائل .

﴿ ١ ﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿ ٢ ﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿ ٣ ﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿ ٤ ﴾ ..  
وقد فسر بعض العلماء كلمة « زَنِيمٍ » بأنه ولد الزَّنا ، وقالوا : لا يَمْشِي بالنميمة إلا ولدُ الزَّنا .. كما فسروا قوله تعالى : ( وَأُمَّرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ) ﴿ ٢ ﴾ بأنها إشارة إلى حملها الحديث بين الناس ، ومشيتها بالنميمة التي تشتعل عليها ناراً يوم القيامة .. وكذلك فسروا الخيانة التي جاء ذكرها في قول الله تبارك وتعالى : ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتِ نُوحٍ وَأُمَّرَاتِ لُوطٍ ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا ) ﴿ ٣ ﴾ فسروها بالنميمة ، إذ كانتا تنقلان أخبار زوجيهما إلى الكفار ..

والنمام يمشى بالنميمة لواحد من ثلاثة أسباب :

- ١- إرادة السوء بمن نقل عنه الكلام .
- ٢- إظهار الحب والحرص على مصلحة من نقل إليه .
- ٣- الوقوع في فضول الكلام ، والخوض في الباطل من أجل التسلية وتمضية الوقت .

وغالبا ما تجتمع في النمام صفات عديدة مذمومة مثل : الكذب ، والخيانة ، والخذلية ، والغدر ، والغل ، والحسد ، والحقد ، والغيبة ، والإفساد بين الناس ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ..

وعلى ذلك أوجب العلماء على مَنْ يُنْقَلُ إِلَيْهِ كَلَامُ النَّمَامِ عدة أمور :

(١) سورة القلم الآيات من ١٠ : ١٣ . (٢) سورة المسد آية ٤ . (٣) سورة التحريم آية ١٠ .

- ١- ألاَّ يُصَدِّقَ النمام لأنه فاسق مردود الشهادة .
- ٢- أن ينهاه عن ذلك ، ويسكته ، ولا يستمع إليه .
- ٣- أن يبغضه في الله ، لأن الله يبغضه .
- ٤- أن يحسن الظن بمن نقل النمام عنه الكلام ، ولا يُسِيء الظن به .
- ٥- ألاَّ يحملَه كلام النمام على التجسس تحريًا للحقيقة .
- ٦- ألاَّ ينقل ما نَمِيَ إليه لأحد وإلاَّ كان نَمَامًا .
- ٧- ألاَّ يستفزه كلام النمام ، فيقع في عَرَض من نقل عنه الكلام .

وقديما قالوا : ( مَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ نَقْلَ عَنكَ ) .. ولذلك غالبًا ما يقع التَّمَام في شرًّا أكبر فيصبح ذا وجهين أو لسانين ، فيأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ، ورسول الله (ﷺ) يقول : ( مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ )<sup>(١)</sup> .. أما إذا كانت نَمِيمَةُ النمام لدى سلطان .. فإنها تُسَمَّى : سَعَايَةَ ( وَشَايَةَ ) ، وهي أشد أنواع النَمِيمَةِ حُرْمَةً وإثْمًا ، لأن ما يقدر عليه ذو السلطان من بطش وانتقام لا يقدر عليه غيره ..

لذلك كله وجب على كل مسلم أن يوقف كلام النمام منذ البداية ، فإن لم يستطع ترك له المكان .. كما يجب العلم بأن ستر المسلم واجب في كل الأحوال حتى ولو كان على معصية - ما لم يجهر بها - وأن الكلام أمانة ، وما تسمعه أمانة ، فلا تكن من الخائنين للأمانة ..

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب .

## السُّؤَال

كان رسول الله (ﷺ) يَنْهَى عَنْ : ( قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ )<sup>(١)</sup> .. و« كثرة السؤال » توقع الإنسان في شرور هو في غنى عنها .. ومن كثرة ما شدد رسول الله (ﷺ) في النهي عن السؤال كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتحرَّج أحدهم أن يسأل أحداً أن يناوله سَوْطَهُ إذا سقط منه وهو على فرسه ، فكان ينزل هو ويتناوله بنفسه .. وكانوا يتخرجون من السؤال حتى عن الطريق ..

وقد نَبَّه العلماء على أن « السؤال في أمر الدين » له آداب .. فمنه ما هو واجب ، ومنه ما هو مباح ، ومنه ما هو محظور .. « فالواجب » : أن تسأل عن العبادات التي فرضت عليك ، وكيفية أدائها ، وأن تسأل عن الحلال والحرام .. و« المحظور » : هو السؤال عن : أفعال الله ، وعرش الله ، وصفات الله ، وكيفية اتصافه بها ، وما إلى ذلك من أمور لا يصحُّ الخوض فيها .. وقد سُئِلَ « الإمام مَالِك » ذات يوم وهو يجلس في مسجد النبي (ﷺ) عن استواء الله على العرش فقال : ( الاستِواءُ غيرُ مجهولٍ .. والكيفُ غيرُ معقولٍ .. والإيمانُ به واجبٌ .. والسؤالُ عنه بدعةٌ )<sup>(٢)</sup> .. ثم أمر بطرد السائل من المسجد حتى لا يثير فتنة .. فالله تبارك وتعالى مُنَزَّهٌ عن التكييف والتشبيه والتحديد .. وقد سكت الله تبارك وتعالى عن أشياء رحمة بنا .. ونبينا (ﷺ) يقول : ( إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا : مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ )<sup>(٣)</sup> .. فَإِنْ

(١) البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . (٢) تفسير القرطبي . (٣) رواه مسلم كتاب الفضائل .

أردت أن تسأل عن أمر دينك فاسأل أهل الذكر : أى المتخصصين .. واسأل عن الحلال والحرام وما يجب عليك وما لا يصحُّ منك ، واسأل عن العبادات والطاعات حتى تؤديها كما هو مطلوب منك .. ولا تسأل عن القضاء والقدر أو الأمور الغيبية .. أو عن أمور سكت الله عنها .. واعلم أن الله تبارك وتعالى أراد بك وأراد منك ، فما أرادك منك بيّنه لك ، وما أرادك بك أخفاه عنك ، فلا تشغل نفسك بما أرادك الله بك عما أرادك منك .. وقد جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فسأله : متى السّاعةُ ؟ .. فأجابه النبي (ﷺ) قائلاً : ( وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟! ) (١) ..

## فَحْوَى الْكَلَامِ

وهو ما تضمنه الكلام من معنى قد لا يبدو من ظاهره .. وهناك أمور خطيرة يقع فيها الإنسان بفحوى كلامه دون أن يقصد أو يدري .. وإليك أمثلة لذلك :

يروى أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) : ( مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ) ، فقال له النبي (ﷺ) : **جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدُوًّا !! بَلْ : ( مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدُّهُ )** (٢) .. ويقول (ﷺ) : **لَا تَقُولُوا : ( مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ) ، وَلَكِنْ قُولُوا : ( مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ )** (٣) ..

والواو هذه كأنها واو شرك يجب التنبه لها ، فمثلاً يقول الرجل لمن يطلب منه معروفًا : ( إني معتمد على الله وعليك ) .. هنا أشرك القائل دون أن يدري ، والواجب أن يقول : ( أنا معتمد على الله ثم عليك ) .. ( الفضل لله ثم لك ) ..

(٢) رواه أحمد مسند بنى هاشم .

(١) رواه البخارى كتاب المناقب .

(٣) رواه أبو داود كتاب الأدب .

وهكذا .. ويقول ابن عباس منبهاً : ( قد يشرك أحدكم كلبه مع الله ، قالوا : كيف ذلك؟! قال : أن يقول الرجلُ : لولا الكلب لسرقنا البارحة ) .. وهذا كثيراً ما يقع فيه الناس بقولهم : لولا الطبيب لمات المريض .. لولا الدواء ما شفى فلان .. لولا تفكيرى السليم وتديبرى لخسرت التجارة .. وهكذا .. فكلمة « لولا » فى مثل هذه الأمور توحى بالشرك ، فالله تبارك وتعالى هو الفعال لما يريد ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد ..

وكذلك من محظورات فحوى الكلام .. « الحلف بغير الله » مثل : الحلف بالذمة ، أو الأب ، أو الأم ، أو رحمة فلان .. أو الطلاق .. وهكذا .. ونبينا (ﷺ) يقول : ( مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ )<sup>(١)</sup> .. ويقول : ( مَنْ قَالَ : « إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ » فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا )<sup>(٢)</sup> .. فعلى الإنسان أن يتنبه لفحوى كلامه وما يؤدى إليه كلامه من محظورات ومخاطر ..

## المدح

« المدح » : هو الثناء ، ومنه ما هو مباح ، ومنه ما هو محذور .. والمحذور هو أن تمدح شخصاً بالصفات المطلقة كأن تقول : فلان من أولياء الله الصالحين ، أو من الزهاد ، أو من المتقين .. فالله تعالى أعلم بعباده ، وهو القائل : ( هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ

(٢) رواه النسائي كتاب الأيمان .

(١) رواه البخارى كتاب الشهادات .

بِمَنْ أَتَقَى (١) .. وقد أُنْتَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ( وَيَلِكَ قَطَعْتَ  
عُنُقَ صَاحِبِكَ .. قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - مَرَارًا - ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا  
أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ فُلَانًا ، وَاللَّهُ حَسِيْبُهُ (٢) ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ،  
أَحْسِبُهُ كَذًا وَكَذًا - إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ - ) (٣) ..

وهناك آفات أربع تصيب المادح وهي :

- ١- الإفراط أو المبالغة في المدح فيؤدى ذلك إلى الكذب .
- ٢- أن يكون ما يضمرة المادح من حب للممدوح لا يوازى المديح ، فيقع في الرياء .
- ٣- أن يمدحه بما ليس فيه فيقع في النفاق .
- ٤- أن يمدحه بالصفات المطلقة مثل : ( هو من الصالحين أو من الأولياء ) فيصبح من المتألين على الله .

وكما قد يقع المادح في المحذور ، فكذلك : يصيب الممدوح من الآفات ما يلي :

- ١- إذا كان ظالمًا أو جبارًا أو فاسقًا .. دخل السرور إلى قلبه بهذا المديح ، مما قد يزيده طغيانًا وتجبرًا وفسقًا .
- ٢- أن يكون من الطائعين .. فيصاب بالغرور أو العجب ويرضى عن نفسه ، فيتكاسل عن العمل ، ويغفل عن تقصيره .

(١) سورة النجم آية ٣٢ . (٢) حسيبه : عليم بحاله . (٣) رواه البخارى كتاب الشهادات .

من أجل ذلك قال النبي (ﷺ) : ( إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمْ  
 الثَّرَابَ )<sup>(١)</sup> كناية عن عدم الرضا وعدم السماح لهؤلاء المدّاحين بالمدح والثناء ..  
 فالإنسان أعلم بنفسه ممن يمدحه ، والله أعلم به من نفسه .. وحتى لا يقع في  
 المحذور فعليه إن مدح أن يقول كما أثر عن بعض السلف : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا  
 يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ )<sup>(٢)</sup> .. وعليه  
 كذلك أن يعلم أن مدح الناس له لا يرفع من قدره عند الله .. بل قد يؤاخذ به  
 ويحاسب عليه يوم القيامة ..

ولا يتعارض ما سبق ذكره مع ما ورد من أحاديث تفيد مدح النبي (ﷺ)  
 لأصحابه في وجوههم .. مثل قوله (ﷺ) : ( مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَلَا غَرَبَتْ ،  
 عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ )<sup>(٣)</sup> .. وكقوله لعمر بن  
 الخطاب (رضي الله عنه) : ( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا ، إِلَّا  
 سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ )<sup>(٤)</sup> .. وكقوله (ﷺ) : ( أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ..  
 وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ .. وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ .. وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي  
 طَالِبٍ .. وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ .. وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ  
 ابْنِ جَبَلٍ .. وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ  
 أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ )<sup>(٥)</sup> ..

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

(٢) رواه البخاري كتاب بدء الخلق .

(٣) رواه مسلم كتاب الزهد .

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

(٥) رواه ابن ماجه .

فالنبي (ﷺ) قد مدح أصحابه بصدق ، وبحق ، فهو يعلم ما هم عليه ، ويوحى إليه في شأنهم .. أما هم فقد كانوا أجَلَّ وأعظم وأكبر من أن يصيبهم المديح بالكبر أو العجب أو الغرور .. أو يتكلموا على ذلك فيصيبهم الفتور ، بدليل أنهم كانوا يكونون إذا حضرهم الموت .. فحين حضرت « مُعَاذًا » (رضي الله عنه) الوفاة جعل يبكي ، فقيل له : أتبكي و أنت صاحب رسول الله (ﷺ) ، و أنت ، و أنت ؟!

فقال : ( ما أبكي جزعًا من الموت أن حلَّ بي ، و لا دُنْيَا تَرَكْتُهَا بعدي ، ولكن إنما هما القَبْضَتَانِ : قَبْضَةٌ فِي النَّارِ ، و قَبْضَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فلا أدري في أيِّ القَبْضَتَيْنِ أَنَا )<sup>(١)</sup> .. ويروى أن « عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ : ( قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ : إِنَّ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ .. وَقُتِلَ حَمْرَةٌ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عُجِّلَتْ لَنَا .. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ )<sup>(٢)</sup> .. وحين طُلب من « عُمَرَ » (رضي الله عنه) أن يستخلف وهو مطعون قد خرجت أحشاؤه قال : ( وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لَا لِي ، وَلَا عَلَيَّ ، لَا أَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا )<sup>(٣)</sup> ..

من هنا كان على الإنسان أن يهتم بنظر الله إليه ، وليس بنظر الناس .. وأن يتَّهَم نفسه دائماً بالتقصير ، ويذكرها بذنوبها ، ويستصغر عبادته وطاعته ..

<sup>(١)</sup> رواه البيهقي في شعب الإيمان . <sup>(٢)</sup> رواه البخاري كتاب الجنائز . <sup>(٣)</sup> رواه البخاري كتاب الأحكام .

وصدق عمر (رضي الله عنه) إذ يقول : ( حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيِّنُوا  
لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي  
الدُّنْيَا )<sup>(١)</sup> ..



---

<sup>(١)</sup> رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .



أَحْوَالُ الْقَلْبِ  
وَأَوْصَافُهُ

## تمهيد

قد عرفنا أمراض اللسان ومحظورات الكلام ، و كيفية علاجها .. وعلينا أن نتعرّف أمراضَ القلب كى نتقيها - فالوقاية خير من العلاج - أو نعالجها إن كانت موجودة فينا ، لأن سلامة القلب هي أساس النجاة من عذاب الله ، كما جاء في قوله تعالى : ( يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ )<sup>(١)</sup> .. ولكي نتعرّف أمراضَ القلب لابد لنا أن نتعرّف القلبَ أولاً : ماهو ؟! .. وأين مكانه ؟! .. وما هي حدوده ؟! .. وما هي إمكاناته ؟! .. ومن هم جنوده ؟ ومن هم أعداؤه ؟! ..

لأن : مَنْ عَرَفَ قلبه .. عَرَفَ نفسه ..

وَمَنْ عَرَفَ نفسه .. عَرَفَ (( الله )) ..



<sup>(١)</sup> سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

## الْقَلْبُ

خلق الله تبارك وتعالى المخلوقات فمنها : الجمادات ، ومنها : النبات والحيوان والإنسان .. والجماد : هو ما لا حياة فيه ، وقد خُلق لخدمة الحياة بصورها المختلفة في النبات والحيوان والإنسان .. فالنبات فيه نوع من الحياة لأنه ينمو ويزهر ويثمر ويموت ولكنه ثابت .. حيث زرع نبت ، ونما ، وحصد ، فليس له حركة ولا اختيار .. أما الحيوان فله نوع من الحياة هي أرقى من حياة النبات ، إذ له الحركة وله بعض الاختيار وقد يكون له مجتمع ونظام ، كما في مملكتي النحل والنمل ، وكهجرة الطيور والأسماك .. وما إلى ذلك : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ )<sup>(١)</sup> .. وعليه كان يلزم للحيوان شيء زائد عما أعطاه الله للنبات ، ألا وهو الحاسة .. فالنبات لا يبصر ولا يتحرك فلا تلزمه العين مثلا .. أما الحيوان فيحتاج إلى البصر في حركته وكذلك إلى باقى الحواس التى تعينه على تمييز أسباب معيشته .. كما يحتاج إلى الشهوات أو الغرائز لحفظ نوعه .. فمنحه الله الشهوات البهيمية ( شهوتى البطن والفرج ) ، والشهوات السَّبعية ( شهوة الغضب ) .. فإذا احتاج الحيوان إلى الطعام تحركت شهوة البطن فأحس بالجوع .. وتحركت شهوة الغضب فأقدم على فريسته يمزقها بأنيابه .. وهذه الشهوات فى الحيوان لا حاكم لها ولا رابط ، وهى بغير توجيه أو ضابط ، فلا علم ولا إدراك .. فمثلاً لو نظر الكلب إلى المرأة أو إلى الماء لظن صورتهُ فيهما كلباً آخر ، ولا يمكن له أن يدرك أن ما يراه

(١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

خيال أو صورة .. وإذا انتقلنا إلى الإنسان وجدناه يجمع بين ما مُنح للنبات ، وما مُنح للحيوان ، ثم تميّز بعد ذلك بالعلم والإدراك ، فهو ينمو كما ينمو النبات ، ويزداد قوة على قوة ، ثم يتحول إلى الضعف والشيخوخة التي تنتهي بالموت .. ونجد فيه أيضاً ما فى الحيوان من شهوات بهيمية وسبعية .. ففيه شهوات البطن والفرج ، وفيه شهوة الغضب ، ولكنها جميعاً محكومة بالإدراك والتمييز الذى يوفره العقل .. وفائدة العقل : تصحيح خطأ الحواس ، والاختيار بين البدائل .. وهو أيضاً مُهيأ لقبول العلوم والمعارف .. وقد نشأ من قدرة الإنسان على تسخير ما حوله أن ظهرت له شهوات أخرى : كشهوة الجاه والسلطان .. وشهوة المال والتملك .. وشهوة التسلط والسيطرة ..

والإنسان بتميّزه عن سائر المخلوقات بالعقل أصبح مكلفاً بالشرائع ، مخاطباً بالأوامر والنواهي .. فما هو محل الخطاب من الإنسان؟! .. الإنسان كيان مكون من جسم وروح ونفس وعقل .. ولا بد أن يكون محل الخطاب هو القوة المتهيئة لقبول العلوم والمعارف .. والتي هى منشأ الإدراك والتمييز .. والتي بها يتم الاختيار بين البدائل ، ألا وهى : العقل .. فأين محل العقل من الإنسان؟! .. **محل العقل هو القلب** .. ذلك الجوهر الموجود فى الصدر والذى له نوع من التعلق بالقلب العضوى .. تلك العضلة الصنوبرية التى تضخ الدم فى الجسم ، أما ما هو موجود فى الرأس فهو المخ وليس العقل ، وهو جهاز عضوى كأجهزة الجسم مثل : الكبد والبنكرياس ، وله وظائفه الخاصة وخلاياه ، وهو معرّض للتلف كباقي أعضاء الجسم .. أما القلب الذى نتكلم عنه فهو الجوهر الموجود فى الصدر الذى لا يعرف سرّه إلا الله ،

كالروح والنفس .. فهو المُخاطَب .. وهو المُعَاتَب .. وهو المُحَاسَب .. وهو محل العلم والجهل .. والإيمان والكفر .. والنكران والشكر .. ومحل النية التي على أساسها تُحسب الأعمال .. وهو حي لا يموت بموت الإنسان .. وهو أول شيء خلق من الإنسان .. وهو الذي خُوطِبَ وسُئِلَ وأجاب في عالم الذرِّ كما حكى القرآن الكريم : ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا )<sup>(١)</sup> .. إذا لابد للمخاطب أن يكون مُدرِّكاً مُختاراً .. والله تبارك وتعالى لا يخاطب أعضاءنا وجوارحنا ، فتلك أدوات تأتمر بأوامر القلب .. وتكتسب الأعمال باختيار القلب ، وهي شاهدة يوم القيامة له أو عليه .. فالقلب هو الطائع على الحقيقة أو العاصي .. وما يظهر من أثر العبادة على الجوارح فهو نوره .. وما يسرى فيها من فواحش هو أثره .. فإذا استنار القلب بنور المعرفة واليقين صلح الظاهر .. وإن اسودَّ بالجهل والفجور فسد الظاهر ، ولذلك يقول النبي (ﷺ) : ( أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ )<sup>(٢)</sup> .. وصدق من قال : ( الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ) ..

من ذلك يتضح أن القلب هو المخلوق للقاء الله ، وهو الساعى إلى رضا الله ، وهو العالم بالله ، وهو المتقرب إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله .. وهو الواقف يوم القيامة بين يدي الله .. وما جسم الإنسان إلا مَرْكَبٌ يسير به القلب في رحلة

<sup>(٢)</sup> رواه البخارى كتاب الإيمان .

<sup>(١)</sup> سورة الأعراف آية ١٧٢ .

الدنيا ثم ينتقل إلى مركب آخر في حياة البرزخ - ولذلك يتحلل الجسم بالموت ويتحول إلى تراب - ثم ينتقل إلى مركب آخر يوم الحشر والنشر يكون محلاً للتعيم ، أو لذوق عذاب الجحيم .. فجسد الآخرة باق .. وجسد الدنيا فان .. وإن كان الأصل هو التراب .. والله تبارك وتعالى هو المبدئ المعيد .. يبدأ الخلق ثم يعيده ، والدليل على ما قلناه من أن القلب هو محل العقل .. وأن القلب محله الصدر .. وأن القلب هو محل العلم والمعرفة .. وهو المدرك المختار .. وهو المخاطب .. والمُعَاتَب .. والمُحَاسَب .. وأنه يمرض ويسلم : ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة .. وإليك أمثلة منها : ( فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا )<sup>(١)</sup> .. ( وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ )<sup>(٢)</sup> .. ( وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ )<sup>(٣)</sup> .. ( هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا )<sup>(٤)</sup> .. ( رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ )<sup>(٥)</sup> .. ( صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ )<sup>(٦)</sup> .. ( إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ )<sup>(٧)</sup> .. ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ )<sup>(٨)</sup> .. ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا )<sup>(٩)</sup> .. ( إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ )<sup>(١٠)</sup> .. ( وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٥ .

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

(٦) سورة التوبة آية ١٢٧ .

(٥) سورة التوبة آية ٩٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

(٩) سورة النور آية ٥٠ .

(٨) سورة الحج آية ٤٦ .

(٧) سورة الكهف آية ٥٧ .

(١٠) سورة الشعراء آية ٨٩ .

قُلُوبِكُمْ) <sup>(١)</sup> .. ( وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ) <sup>(٢)</sup> .. ( إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) <sup>(٣)</sup> ..  
( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ) <sup>(٤)</sup> .. ( فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ  
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ) <sup>(٥)</sup> .. ( فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ) <sup>(٦)</sup> ..

## جُنُودُ الْقَلْبِ

مما سبق يتضح لنا أن القلب هو المَلِكُ ، وهو الأمر الناهي ، وهو المُدْرِك  
الفعَّال المُخْتَار .. والجسم مملكته يتحكم فيها كيف يشاء .. ولا بد للملك من جنود  
وعَسَسَ ( جواسيس ) وأسلحة وما إلى ذلك ..

وجنود القلب ثلاثة :

١- الشَّهَوَاتُ ، أو البَوَاعِثُ وَالْمُسْتَحَثَاتُ :

وهو ما يطلق عليه أحياناً الإرادة .. وقد خلقت هذه الشهوات لخدمة القلب  
بحفظ مركبه وهو الجسد .. وهذه الشهوات متعددة .. فمنها « بَهِيمِيَّةٌ » :  
كشهوتي البطن والفرج .. فشهوة البطن تحفظ الجسد ، وتمده بما يغذيه ويقيه ..  
وشهوة الفرج تحفظ النوع بالزواج والإنجاب .. ومنها « سَبْعِيَّةٌ » : كشهوة الغضب  
وهي موجبة سالبة ، إذ تجلب المنافع وتدرأ المفاسد .. ولهذه الشهوات درجات  
متعددة تتراوح بين التفريط والإفراط ..

(١) سورة الأحزاب آية ٥ . (٢) سورة الأحزاب آية ٢٦ . (٣) سورة الصفات آية ٨٤ .  
(٤) سورة محمد آية ٢٤ . (٥) سورة الفتح آية ١٨ . (٦) سورة المنافقون آية ٣ .

## ٢- أدوات تحصيل الشهوات ، أو القدرة :

وهي الجوارح والأعضاء على اختلاف أنواعها ، فمثلا إذا تحركت شهوة الجوع ، أمر القلب الجوارح لتحصيل الطعام : فالعين تبصر وتنتقى ، والقدم تسعى ، واليد تحمل وتطبخ وتعد الطعام ، والفم يمضغ .. وهكذا .. وهذه الجوارح جنود ظاهرة ، تحركها جنود باطنة : كالأعصاب ، والعضلات ، والإشارات من المخ وإليه .. وما إلى ذلك .. وبهذه القدرة يتحقق ما طلبته الإرادة ، أو يدفع ما حذرت منه ..

## ٣- الإدراك أو التمييز :

وهو أهم جنود القلب إذ به تتميز الأشياء ، ويتم توجيه الحواس والجوارح التوجيه الصحيح .. لجلب المنافع ، ودفع المضار .. فمثلا : لو رأت العين ثعباناً تبين القلب بواسطة الإدراك أنه عدو فأمر الجوارح بالابتعاد عنه أو البطش به .. وإذا سمعت الأذن صوتاً عرف القلب صاحب الصوت بواسطة الإدراك .. ولذلك يطلق على الحواس اسم العسس أو ( جواسيس القلب ) ..

وعليه إذا أحسن القلب استخدام جنوده وصل إلى بر السلام ، وأصبحت الدنيا مزرعة للآخرة ، ووصل إلى الله سليماً ، وأنجى صاحبه : ( إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ )<sup>(١)</sup> .. وإن أساء القلب استخدام جنوده فسد وتلف وعمى عن الحقيقة وأهلك صاحبه : ( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ )<sup>(٢)</sup> .. فكيف السبيل إلى سلامة القلب !؟ ..

(١) سورة الشعراء آية ٨٩ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٦٣ .

## سَلَامَةُ الْقَلْبِ

حين خلق الله تبارك وتعالى القلبَ خلقه مُهيَّأً لقبولِ حقائقِ المعارفِ والعلومِ ،

وهي نوعان :

### ١- علوم عقلية :

وهي « دُنْيَوِيَّة » : كالطب ، والهندسة ، والحساب ، وما إلى ذلك .. تساعد الإنسان على تسخير ما خلق له للانتفاع به في دنياه .. و« أُخْرَوِيَّة » : كالعلم بوجود الله ، وبصفاته ، وأفعاله ، وهي علوم مكتسبة بالتعلم والتحصيل ، تورث القلب الخشية والخضوع لخالقه ..

### ٢- علوم شرعية :

وهي علوم تختص بالأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، والعبادات .. وهي علوم تكتسب بالتعلم والسماع والتقليد .. وهدفها : إنارة القلب ، وتوجيهه إلى كيفية إدارة مملكته ، والسيطرة على جنوده للوصول إلى برِّ الأمان .. وهي علوم وهبية للأنبياء تُوهب لهم بالوحي والتنزيل .. وما كان للعقل البشري أن يصل إليها إلا من خلال الأنبياء الذين هم واسطة بين الله وخلقهم .. وسواء أكانت العلوم عقلية أم شرعية مكتسبة أم موهوبة فالقلب هو وعاءها ومحلها ، إذا امتلأ بها ، امتنع دخول الجهل .. أما إذا أُفْرِغَ القلبُ وخلا منها ، فإن الجهل يدخله ، ويدخله الهوى .. وتبدأ الشهوات تتحكم فيه وتوجهه بعد أن كانت جُنْدًا له .. وإذا بالجوارح والحواس مُسَخَّرَةً لخدمة الشهوات التي تنمو وتستعر وتخرج عن حد الاعتدال ، فتسعى إلى

المهلكات فتستجلبها بدلا من أن تدفعها .. ويفقد القلب إدراكه وتمييزه كما فقد سيطرته على جنوده ، ويصبح تابعا للهوى يأتمر بأمره ، فيضل طريقه إلى (( الله )) مصداقا لقوله عز وجل : ( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ )<sup>(١)</sup> ..

## كَيْفِيَّةُ دُخُولِ الْعُلُومِ إِلَى الْقَلْبِ

### للقلب بابان :

الباب الأول : مفتوح على الحواس .. تدخل منه العلوم المكتسبة .. فمثلا : إذا رأيت شيئا من المطعومات ، فسألت عنه ، فسمعت الإجابة ، ثم تذوقته حصل لديك علمٌ به نتيجة عمل الحواس : فالعين رأت ، والأذن سمعت ، واللسان تذوق ، وهكذا في كل ما تقع عليه الحواس من مرئيات ، ومسموعات ، ومطعومات ، وملموسات ومشمومات .. وهذه العلوم تتعلق بعالم الملك والشهادة سواء أكانت عقلية دنيوية : كالطب ، والهندسة .. أم شرعية : كالوضوء ، والصلاة ، وما إلى ذلك .. وهى علوم وصلت إلى القلب عن طريق الاقتباس من الحواس ..

الباب الثاني : مفتوح على عالم الغيب والملكوت ، وهو متجاوز الحواس لا علاقة له بها ، ومنه تأتي الفيوضات الإلهية ، والعلم اللدني<sup>(٢)</sup> ، أو العلوم الوهبية ، التي أشار القرآن إليها في قوله تعالى : ( وَكَذَٰلِكَ نُرِيّٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ

(١) سورة ص آية ٢٦ .

(٢) العلم اللدني : هو علم يختص الله به من يشاء من عباده ، كما حدث مع سيدنا « الخضر » عليه السلام .

وَالْأَرْضِ وَلِيكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) <sup>(١)</sup> .. وهذه لا شك رؤية قلبية من خلال الباب المفتوح على عالم الملكوت .. وكذلك تنتقل حقائق العلوم الموهوبة مطابقة للواقع إلى قلوب الأنبياء عن طريق الوحي بلا اكتساب منهم .. وقد تنتقل هذه الحقائق من خلال النَّفْثِ فِي الرَّوْعِ كما ورد في بعض أحاديث النبي (ﷺ) قوله : ( إِنْ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ رِزْقِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ) <sup>(٢)</sup> .. وكذلك تنتقل من خلال الرؤى الصادقة - ورؤيا الأنبياء وحي - وجميع هذه الطرق يتوصل بها القلب إلى رؤية ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ، فتنطبع فيه صورة حقائق العلوم والمعارف .. وكلما تطهر القلب ازداد نقاءً حتى يصبح كالمرآة النظيفة تنطبع عليها الصور واضحة جليّة .. ولذلك يُمنح العارفون (( بالله )) الطائعون له من هذه العلوم الوهية بقدر تفاوت قلوبهم في الطاعة ، فتضيء قلوبهم بنور المعرفة ، ويصبح للقلب بصيرة يرى بها ويكشف من خلالها ، وقد يرى أحدهم في منامه ما لا يراه غيره ، وتأتي رؤياه كفلق الصُّبْحِ إِذَا كَانَتْ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا .. أما إِذَا كَانَتْ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ فَهِيَ خصوصية له لا يصحُّ له أن يُفْشِيَهَا ، أو يتحدث عنها .. وكذلك قد يُلْهِمُ ، أو يُحَدِّثُ : أى تحدّثه الملائكة فتلقى في روعه ما شاء الله له ، مصداقاً لقوله (ﷺ) :

<sup>(٢)</sup> رواه عبد الرزاق باب القدر .

<sup>(١)</sup> سورة الأنعام آية ٧٥ .

( إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيْمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ )<sup>(١)</sup> .. وقصة « عمر » مع « سارية » قائد جيشه خير دليل على ذلك حين ناداه : ( يَا سَارِيَةَ بْنَ حِصْنٍ .. الْجَبَلُ الْجَبَلُ .. مَنْ اسْتَرَعَى الذَّنْبَ ظَلَمَ )<sup>(٢)</sup> وقد تكلم بها « عمر » وهو على المنبر في المسجد النبوي فسمعها « سارية بن حصن » وهو في ساحة المعركة فلجأ إلى الجبل ونجا بجيشه من التفاف العدو حوله .. وكذلك ما حدث في قصة « موسى » - عليه السلام - مع « الخضر » حين عرف « الخضر » ما لم يعرفه « موسى » - عليه السلام - من أمور غيبية تختص بأصحاب السفينة ، والغلام الذي قتله ، والجدار الذي أقامه حماية لكنز الغلامين ..

## عَدُوُّ الْقَلْبِ

قد عرفنا أن القلب هو ملك الجسد والجوارح ، وهو محل العلم والمعرفة .. وما من ملك إلا وله عدو ، وما من مملكة إلا ويتربص بها أعداؤها .. وللقلب عدو قديم لدود .. ذو مكر وكيد وحيلة .. هذا العدو هو « الشيطان » ، وقد أخبرنا الله بذلك في قوله تعالى : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا )<sup>(٣)</sup> .. وخطورة هذا العدو تكمن في أننا لا نراه ، يقول الحق تبارك وتعالى : ( إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ )<sup>(٤)</sup> .. وهكذا شاءت إرادة الله أن يختبرنا بعدو لا نراه ، ولكننا

(١) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء .  
(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر (رضي الله عنهما) .  
(٣) سورة فاطر آية ٦ .  
(٤) سورة الأعراف آية ٢٧ .

بفضل الله عرفنا مسالكه وأساليبه و كيفية تأثيره في القلوب ، إذ يقول الحق تبارك و تعالى حكاية عنه : ( ثُمَّ لَا تَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ )<sup>(١)</sup> .. أى إنه يأتى من أربعة اتجاهات فقط من بين ستة للإنسان .. فلم يأت ذكر الفوق و التحت .. و عليه كان للإنسان اتجاهان لا سلطان للشيطان عليهما : أما الجهة العليا « الفوق » فهي طريق صلة العبد بربه من خلال العبادة و الذكر و الدعاء ، و ربنا تبارك و تعالى يقول : ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ )<sup>(٢)</sup> .. و لذلك كانت النية سرّاً بين العبد و ربه ، لا يطلع عليها ملكٌ فيكتبها ، و لا شيطان فيفسدها .. فإذا حافظ الإنسان على صدق نيته ، و طيب كلامه ، و حسن عبادته تمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .. و أما الجهة السفلى « التحت » فهي طريق نظر العبد إلى نفسه و منشئه و مرجعه .. فيعلم أنه خلق من التراب ، و إلى التراب يعود ، و أن كل ما فوق التراب تراب ، مصداقاً لقوله عز و جل : ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى )<sup>(٣)</sup> .. فإن أدام الإنسان النظر إلى ما تحت قدميه هان في عينيه كل ما كان يعظمه من زخارف الدنيا و غرورها .. هذا وقد بين لنا النبي ﷺ مكان ذلك العدو اللدود بقوله : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ مِنَ الْعُرُوقِ )<sup>(٤)</sup> ، و لذا كان من الواجب على الإنسان أن يضيّق مجارى الشيطان بالجوع .. و لقد رأى بعض العلماء أن الإفراط فى الطعام ، و ما يؤدى إليه من اكتناز اللحم و الشحم يلهى العبد عن ذكر الله ،

<sup>(٣)</sup> سورة طه آية ٥٥ .

<sup>(٢)</sup> سورة فاطر آية ١٠ .

<sup>(١)</sup> سورة الأعراف آية ١٧ .

<sup>(٤)</sup> رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

ويقوى الشهوات ، ويزيد من نهمها ، فتصبح أقوى أسلحة الشيطان .. وبدلاً من أن تكون من جنود القلب إذا بها تنقلب عليه وتصبح عوناً عليه بعد أن كانت عوناً له .. وكلما استجاب لها القلب زادت مطالبها ، فيسعى الإنسان إلى المال والجاه والسلطان الذى يوفر لهذه الشهوات مطالبها .. وقد قال رسول الله (ﷺ) :

( مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَبَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يُسْمَعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى )<sup>(١)</sup> ..

ووسوسة الشيطان لا تثمر ما لم تجد لها عوناً من الشهوات ، فبقدر ما تخرج الشهوات عن حد الاعتدال .. يزيد تسلط الشيطان على القلب .. وكلما ضعفت الشهوات سيطر عليها القلب ، وانصرف الشيطان بمجرد الاستعادة .. ويشير القرآن الكريم إلى الحالة الأولى بقوله عز وجل : ( أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> .. ويشير إلى الحالة الثانية بقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ )<sup>(٣)</sup> .. وبقوله : ( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ )<sup>(٤)</sup> .. إذا معنى ذلك أن الإنسان إذا اتجه للتقوى والعبادة وسيطر على شهواته فلا سلطان للشيطان عليه ، فهو لا يملك إلا الوسوسة التى لا تخرج عن كونها خواطر سوء لا تجد لها صدق فى القلب فينصرف خاسئاً بالاستعادة .. أما إذا ترك لشهواته العنان فإنه يفقد السيطرة عليها ، وتصبح عوناً للشيطان عليه ، وتجد وساوسه صدق

(١) رواه أحمد مسند الأنصار .

(٢) سورة المجادلة آية ١٩ .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠١ .

(٤) سورة الإسراء آية ٦٥ .

في قلبه ، فيميل إليها ، وينساق وراءها ، ويصبح ممن قال الله فيهم : ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )<sup>(١)</sup> ..

## وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ

روى ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ( إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً .. فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ : فإِعَادُ بِالشَّرِّ ، وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ .. وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ : فإِعَادُ بِالخَيْرِ ، وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ) .. ثُمَّ قَرَأَ : ( الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ )<sup>(٢)</sup> ..<sup>(٣)</sup>

وهذا ما يُسمى بالخاطر ، وهو أول ما يرد على القلب .. فإذا كان من المَلِكِ فهي رحمة من الله للإنسان ، عليه أن يتقبلها شاكرًا .. ويعمل بما جاء به الخاطر .. وإن كان من الشيطان فعلى الإنسان أن يتنبه ويتعوذ بالله ، كما أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) فينصرف الخاطر ويُطرد الشيطان خاسئًا .. وإن لم يتعوذ بالله وترك الخاطر يستقر في قلبه تلقفته الشهوات بالقبول والاشتياق .. وهنا يبدأ عمل الإدراك ( التمييز ) - وهو من جنود القلب كما أوضحنا - فإما أن يرفض الخاطر لما فيه من ضرر عاجل أو آجل فيسيطر القلب على جنده من الشهوات فيكبتها .. وإما أن يكون الإدراك غير

<sup>(١)</sup> سورة الحشر آية ١٩ . <sup>(٢)</sup> سورة البقرة آية ٢٦٨ . <sup>(٣)</sup> رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

سليم فيقبل الخاطر بالرضا فتتهيج الشهوات وتلح في الحصول على ما أوعز به الخاطر ويمتلئ القلب بالرغبة في ذلك .. وهنا ينشأ العزم والهمم بالفعل .. وقد يتراجع القلب عن ذلك ويعود إلى رشده وصوابه فينصرف العزم ويمتنع عن الهمم بالفعل ، وهو ما جاء في قول النبي (ﷺ) : ( إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ .. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً )<sup>(١)</sup> .. وقد لا يتراجع القلب وتسيطر عليه جنوده من الشهوات فيقوى العزم وتستقر النية على الإتيان بالفعل ، فيأمر القلب جنود القدرة - وهي الجوارح - فتلبس بالفعل ويقع المحذور ..

وهذا الترتيب الذي ذكرناه بدءاً بالباطن ثم القبول فالرضا فالعزم والنية ثم الفعل جاء به القرآن في قول الحق تبارك وتعالى : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ )<sup>(٢)</sup> .. فالآية تصور مختلف المراحل مبتدئة بالباطن ( الوسوسة ) الذي يوحى به الشيطان .. منتهية باقتراف الفعل ..

(١) رواه البخارى كتاب الرقاق . (٢) سورة الأنعام الآيتان ١١٢ ، ١١٣ .

## مَحَاسِبَةُ الْقَلْبِ

يقول الله تبارك وتعالى : ( لِّلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تَخْفُوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيٌّۗ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ )<sup>(١)</sup> .. إذا فالله سبحانه وتعالى يحاسب الإنسان على ما في نفسه ، ولكن رحمته اقتضت التخفيف فقال : ( لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ )<sup>(٢)</sup> .. وعليه فيمكن القول بأن الإنسان مُحَاسَبٌ على ما كان له فيه اختيار ، مُعَافٍ مما لا اختيار له فيه .. فمرحلة الخاطر - أى وسوسة الشيطان - ليس للإنسان فيها اختيار ، فلا يُحَاسَبُ على ما ألقاه الشيطان في قلبه مصداقاً لقول النبي (ﷺ) : ( اِنَّ اللّٰهَ تَجَاوَزَ لِاُمَّتِيْ عَمَّا وَسَوَسَتْ اَوْ حَدَّثَتْ بِهٖ اَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهٖ اَوْ تَكَلَّمْ )<sup>(٣)</sup> .. وكذلك تحرك الشهوة وميلها إلى الخاطر لا إرادة للإنسان فيه ، إذ هي بواعث ومستحثات - كما سبق أن أوضحنا - تُعَدُّ من جنود القلب تعمل لحفظ وعائه ومركبه وهو الجسد .. فمثلاً : لو كان الإنسان صائماً فشم رائحة طعام يجبه تحرك شهوة البطن مائلة إليه على الرغم منه ، فاشتهاه بشدة ، وترقب أذان المغرب ليحصل عليه .. وكل ذلك لا يفسد صومه ، وبالتالي فإن مرحلة تهيج الشهوات في القلب موافقة وطالبة ما ألقاه الشيطان من خواطر أمر خارج عن الوسع والطاقة ، فلا يؤاخذ به القلب .. أما مرحلة العزم والتصميم ( النِّيَّة )

(١) سورة البقرة آية ٢٨٤ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

فلا مجال فيها للاضطرار بل الإنسان فيها مُختار كامل الاختيار ، ولذلك كانت المحاسبة على الأعمال أساسها النية كما قال رسول الله (ﷺ) : ( **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** ، **وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى** )<sup>(١)</sup> .. وهذه المرحلة الكل فيها سواء ، والكل فيها مسئول ، مؤاخذ بنيته ، فإن نوى الإنسان معصيةً فحالت الظروف بينه وبينها أو مات قبل أن يعملها حُوسِبَ عليها ، أما إذا تراجع عنها مخافة الله فلا يؤاخذ بها .. وهذا هو معنى قول النبي (ﷺ) : ( **وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً** )<sup>(٢)</sup> .. أى لم يعملها مختاراً خوفاً من الله .. أما من مُنع عنها مُرغماً فإنه يحاسب بها ، ولذلك قال النبي (ﷺ) : ( **يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** )<sup>(٣)</sup> ..

## مَرَضُ الْقَلْبِ

يقول الحق تبارك وتعالى : ( **فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** )<sup>(٤)</sup> .. ويقول : ( **أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ تَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ رَجٌ بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** )<sup>(٥)</sup> .. إذا فالقلب يمرض .. ومرض القلب هو خروجه عن حد الاعتدال ، وفقده لوظيفته التي خلق لها .. ألا وهي : **معرفة الله تبارك وتعالى ، والعلم بصفاته ، والسعى لمرضاته ، والتشوق إلى لقائه ، والسيطرة على جنوده التي سخرها الله له من :**

(١) رواه البخارى كتاب بدء الوحي . (٢) رواه البخارى كتاب الرقاق . (٣) رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

(٤) سورة البقرة آية ١٠ . (٥) سورة النور آية ٥٠ .

جوارح ، وأعضاء ، وحواس ، وشهوات ، واستخدامها فيما خلقت له .. تنفيذاً لقلوله تبارك وتعالى : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ )<sup>(١)</sup> .. والأسباب الأساسية لمرض القلب هي : الإفراط في شهوة البطن وشهوة الفرج .. ولذلك حذرنا النبي (ﷺ) بقوله : ( مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقَمِّنَ صُلْبَهُ )<sup>(٢)</sup> .. بل وفهمنا من القرآن الكريم أن خروج « آدم » من الجنة كان بسبب الأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها .. وشهوة البطن هي ينبوع الشهوات .. ذلك أن الإفراط في الطعام يؤدي إلى أحد أمرين :

١- الحصول على المال من أى طريق - ولو كان حراماً - لتلبية رغبات شهوة البطن ، إذا لم يكن عنده من المال ما يكفى لذلك ..

٢- السمنة واكتناز اللحم والشحم الذى يؤدي إلى كثرة النوم والكسل عن العبادة والطاعة ، وحجب القلب عن الحكمة وتلقى العلوم ، وتقوية شهوة الفرج ، فتخرج عن حد الاعتدال ..

وخير وقاية ما جاء في هذه النصيحة : ( نَحْنُ قَوْمٌ طَبْنَا مَعَنَا : لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ ) .. وهذا هو الاعتدال المطلوب ، والوسطية بين الإفراط والتفريط ..

أما شهوة الفرج فإن تركت بغير تحكّم خرجت عن حد الاعتدال ، فيتجاوز الإنسان ما أحله الله له إلى ما حرّمه عليه ، مما يجعله يجرى ويلهث وراء المال والجاه اللذين يوفران له ما تتطلبه شهوة الفرج .. وخير وقاية هي الطاعة لقلول الله عز

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ . (٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

وجل : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ )  
 إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٦٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ  
 فُرُوجَهُنَّ (١) .. وكذلك العمل بالنصائح والوصايا التي وردت في قول الله تعالى في  
 الحديث القدسي : ( النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي  
 أَبَدَلْتُهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حِلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ ) (٢) ، وفي قول رسول الله (ﷺ) : ( يَا مَعْشَرَ  
 الشَّبَابِ ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ (٣) فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ (٤) لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ،  
 وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٥) ) (٦) ..

فإذا تمت الوقاية بالتحكم في شهوتي البطن والفرج : تيقظ القلب، ووضع  
 الإدراك الأمور في نصابها ، وسدّت مسالك الشيطان وطرقه .. أما إذا لم يأخذ  
 الإنسان بأسباب الوقاية : فإن القلب يتعرض لأمراض كثيرة وخطيرة ، ويفقد  
 إدراكه وتمييزه ، وتختلط عليه الأمور ، ويلقى الله تبارك وتعالى عليلاً كليلاً ،  
 فَيَهْلِكُ وَيُهْلِكُ صَاحِبَهُ ..

وإليك بيان بهذه الأمراض ، وأسباب الإصابة بها ، وطرق العلاج  
 منها .. حتى تتجنب الإصابة بها ، أو تداوى قلبك منها إن كان قد أصيب  
 بها .. قبل أن يستفحل الداء ويصعب الدواء ..

(١) سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ . (٢) رواه الطبراني . (٣) الباءة : تكاليف الزواج والقدرة عليه .  
 (٤) أغض : أحفظ وأصون . (٥) وجاء : حماية ووقاية . (٦) رواه البخاري كتاب النكاح .



مَحْظُورَاتُ الْقَلْبِ  
وَأَمْرَاضُهُ

## الغضب

الغضب شهوة محلها القلب ، وهى تعنى غليان الدم فيه ، وحين تثور هذه الشهوة يغلى الدم فى القلب ، ويندفع إلى العروق صاعداً إلى أعلى البدن .. والسبب فى ذلك أن الغضب مخلوق من النار ، والنار شأنها التلظى والاستعار والاتجاه إلى أعلى .. وقد عُجِنَتْ هذه النار بالطين الذى هو أساس خلق الإنسان حتى يتمكن الجسم من احتمالها .. وعند اندفاع الدم إلى أعلى البدن يَحْمَرُّ الوجه ، وتنتفخ الأوداج ، وتحمّر العينان .. ونجد أن الإنسان إذا غضب وهو جالس قام ، وإذا غضب وهو قائم اندفع .. وهكذا .. وقد بين النبي (ﷺ) ذلك ، وشرح العلاج بقوله : ( إِنْ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ .. أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ ، وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ؟ فَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا : فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فليقعد ، وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيُضْطَجِعْ )<sup>(١)</sup> .. وبقوله : ( إِنْ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ )<sup>(٢)</sup> ..

### والغضب له ثلاث حالات :

١- أن يكون الغضب على مَنْ هو دون الغاضب ، ويستطيع أن يُنفذ غضبه فيه .. وفى هذه الحالة ينسب الدم ، ويتم توزيعه على سائر الأعضاء ، فتخفّ حمرة العينين ، وتبدأ مظاهر الغضب فى الانحسار والتلاشى .

<sup>(٢)</sup> رواه أبو داود كتاب الأدب .

<sup>(١)</sup> رواه البيهقى فى شُعب الإيمان .

٢- أن يكون الغضب على مَنْ هو أعلى منه ، ولا يملك أو لا يستطيع أن ينتقم منه .. وفي هذه الحالة يأخذ الدم في الانقباض والارتداد إلى القلب محدثاً فيه الكَمَدَ ، والحُزْنَ ، والغَيْظَ ، وينقلب احمرار الوجه إلى اصفرار ، وترتعد الأطراف ، ويكسو الشفاه لون أزرق ، وقد يصاب القلب نتيجة لذلك بأضرار صحية جسيمة .

٣- أن يكون الغضب على مَنْ هو ندِّ له أو مُساو له .. وفي هذه الحالة يكون الغاضب في شك من استطاعته الانتصار ، أو إنفاذ غضبه ، فيتردد الدم بين الانقباض والانبساط ، فيحمر الوجه تارة ، ويصفر تارة أخرى .

وتتراوح شهوة الغضب بين ثلاثة حدود :

أولاً - التفريط :

ويكون ذلك بأن تضعف هذه الشهوة عن الحد المطلوب لها وتنكسر حدتها ، وذلك أمر محذور ، لأنه يؤدي إلى نتائج سلبية منها :

١- انعدام الحمية والغيرة مما يؤدي إلى اختلاط الأنساب :

وقد قال أحد الحكماء : كل أمة ضاع الغضب من رجالها ضاعت الصيانة من نساءها .. ورسول الله (ﷺ) يقول : ( إِنْ لَلَّهِ يَغَارُ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ .. وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ )<sup>(١)</sup> .. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا لَمْ أَمْسَهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟!! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : نَعَمْ .. قَالَ : كَلَّا وَالَّذِي بَعَثَكَ

(١) رواه مسلم كتاب التوبة .

بِالْحَقِّ ، إِنَّ كُنْتُ لِأَعِجْلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) :  
اسْمَعُوا إِلَيَّ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ! إِنَّهُ لَغَيُورٌ ، وَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي (١) ..

٢- انعدام الشعور بالغضب عند رؤية المنكر :

فلا يكون هناك غضب لله ، ولا سعى لتغيير المنكر ، فينتشر الفساد في الأرض ،  
ويستشرى المنكر حيث لا راد له ولا رادع .. والحق تبارك وتعالى يقول : ( يَا أَيُّهَا  
النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ) (٢) .. ويقول في مجال الشاء على  
المؤمنين : ( أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ) (٣) .. مما يعنى أن الغضب واجب  
في حدود معينة ، ذلك أن الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية التي هي الغضب ..

٣- عدم إقامة حدود الله التي يبعث عليها الغضب من انتهاك حرماته :

والله تعالى يقول : ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا  
تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) (٤) ..

٤- يصبح الإنسان خسيساً يَرْضَى بالذل والضييم (الإذلال) ولا يثور لكرامته  
ويجتري عليه اللئام : ويقول الإمام الشافعي : ( مَنْ اسْتُعْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ  
حِمَارٌ ، وَمَنْ اسْتُرْضِيَ فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ شَيْطَانٌ ) (٥) ..

٥- تتحكم شهوة البطن وشهوة الفرج في الإنسان :

ذلك أن من وظائف شهوة الغضب أن يغضب الإنسان على نفسه إذا ارتكب

(١) رواه مسلم كتاب اللعان . (٢) سورة التوبة آية ٧٣ . (٣) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٤) سورة النور آية ٢ . (٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

محظوراً ، فيسلط شهوة الغضب على سائر الشهوات فتكبح جماحها ..

### ثانياً - الاعتدال :

ويكون ذلك بإخضاع شهوة الغضب للعقل والدين دون تجاوز : بحيث تنبعث حين يكون الغضب مطلوباً ، وبالقدر المطلوب له ، وتسكن حين يكون الحلم مطلوباً .. أى تثور عند الحاجة وتسكن عند الضرورة ، فتؤدى المطلوب منها دون إفراط أو تفريط ..

### ثالثاً - الإفراط :

ويكون ذلك بزيادتها عن حدّها .. فتثور حيث لا يجب أن تثور ، أو تتجاوز حدّها المرسوم لها ، فتخرج عن حد الاعتدال ، وتؤدى إلى الرعونة والتهور ، ويصعب السيطرة عليها ، فلا تخضع لعقل أو دين مما يفقد الإنسان معه بصيرته ، فتخرج أفعاله عن نطاق الترتيب والانتظام ، كما تخرج أقواله عن حدود الأدب واللياقة وما رسمه الإسلام من حدود للتخاطب والكلام .. وينطلق لسانه بالسب ، والشتم ، واللعن ، فيقع فى محظورات اللسان .. وتندفع جوارحه للضرب ، والتمزيق ، والجرح ، والقتل عند التمكن .. وقد يهرب المغضوب عليه ، فينقلب الغضب على صاحبه : فيمزق ثوبه ، ويلطم وجهه ، أو يكسر الأواني .. ويمتلئ القلب بالحقد ، والغل ، وإضرار السوء ، وغير ذلك ..

### علاجُ الغضب :

١- أن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، وأن مستقره الآخرة ، وأن الدنيا معبر يعبر عليها فيتزود منها قدر الضرورة لأن ما وراء ذلك من متاعها وبأل عليه ومحل

سؤال .. إذ إن من مُحَرِّكات شهوة الغضب وأسباب خروجها عن حد الاعتدال الحرمان مما يُحِبُّ ، والحيلولة بينه وبين ما يشتهي .. وكلما زادت محبوباته ومطلوباته من الدنيا عن الضرورات انْحَطَّتْ رتبته ، لأن الحاجة نقص ، والغنى الحقيقي هو الاستغناء عن الشيء وليس حيازته .. وعليه أن يتذكر قول الحق تبارك وتعالى : ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرثِ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ )<sup>(١)</sup> ..

٢- أن يرى الأشياء كلها بيد الله ، ومنه .. وأن ما يصيبه على أيدي الغير هو ما قدره الله وقضى به من الأزل .. فهم مُسَخَّرُونَ في قبضته كالقلم في يد الكاتب ، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، وهو الفعال لما يريد .. فلا يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لله .

٣- أن يحسن الظن بالله .. ويعلم أن الخيرة فيما اختاره الله ، وأن الله لا يقضى له إلا بما فيه الخير .. فرسول الله (ﷺ) يقول : ( مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ ، وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ )<sup>(٢)</sup> .. وعليه أن يتذكر سلوك الصالحين والسابقين فيقتدى بهم .. فحين افتخرت قريش عند « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » قال : ( لَكِنِّي خَلَقْتُ مِنْ نُطْفَةِ مَدْرَةَ ، ثُمَّ أَعُوذُ جِيْفَةَ مُنْتَةَ ، ثُمَّ يُؤْتَى

<sup>(٢)</sup> رواه البخارى كتاب المرضى .

<sup>(١)</sup> سورة آل عمران آية ١٤ .

بِالْمِيزَانِ ، فَإِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينِي فَأَنَا كَرِيمٌ ، وَإِنْ خَفَّتْ فَأَنَا لَيْمٌ (١) .. وحين  
 جاء رجل إلى « علي بن الحسين » (رضي الله عنهما) فقال : إن فلانًا شتمك  
 وقال عنك كذا و كذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه و هو يرى أنه  
 ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : ( يَا أَخِي إِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ حَقًّا فَغْفَرَ  
 اللَّهُ لِي ، وَإِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ بَاطِلًا فَغْفَرَ اللَّهُ لَكَ ) (٢) ..

٤- أن يتفكر في عاقبة الغضب .. وأنه إذا أنفذ غضبه في غيره .. أورث ذلك  
 العداوة والبغضاء والصراع الذي لا تُؤمّن عواقبه ..

٥- أن يتذكر قدرة الله عليه .. فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّهُ سَأَلَ  
 رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) : مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : ( لَا  
 تَعْضَبُ ) (٣) .. نعم لأن الإنسان لو أنفذ غضبه في غيره أنفذ الله غضبه فيه ..

٦- أن يعلم أن ما أغضبه - وإن كان قد جاء على غير مراده - فإنه قد جاء على  
 مراد الله .. فلا يصح له أن يُفضّل نفاذ مراده على نفاذ مراد الله ..

٧- أن يستحضر صورة الغاضب في ذهنه ، وكيف تتغير هيئته ، ويختل تصرفه :  
 فتحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه ، ويخرج الزبد من أشداقه ، ويقارن ذلك بوقار  
 العلماء والصالحين ، وهدوء نفوسهم وحسن سمّتهم ..

٨- أن يتذكر فضل كظم الغيظ ، وفضل العفو والرفق .. لأن الطمع في ثواب ذلك  
 قد يكون مانعًا من البطش ، والانتقام ، وإنفاذ الغضب .. وربنا تبارك وتعالى

(١) كتاب الكبائر للذهبي .

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الأحوص .

(٢) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

يقول : (وَالْكَبِيمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١) ..  
وعليه أن يتذكر أقوال النبي (ﷺ) في هذا المجال والتي منها : ( مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ  
جَرَعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَرَعَةٍ غَيْظَ يَكْظُمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ  
تَعَالَى ) (٢) .. ( وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ) (٣) .. ( مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ  
الْخَيْرَ كُلَّهُ ) (٤) .. ( يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالرَّفْقِ ، فَإِنَّ الرَّفْقَ  
لَمْ يَكُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانُهُ ) (٥) .. ( إِنَّمَا  
الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ) (٦) .. ( مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى  
أَنْ يُتَفِدَّهُ - دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ  
اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ ) (٧) ..

٩- أن يتذكر وصية الرسول (ﷺ) في مقاومة الغضب .. فإن غضب وهو قائم  
فليجلس ، وإن غضب وهو جالس فليتكئ أو ليضطجع ، فإن لم يذهب غضبه  
توضأ ..

١٠- أن يعلم أن الناس في الغضب أربعة : فرسول الله (ﷺ) يقول : ( أَلَا إِنَّ  
خَيْرَ الرَّجَالِ : مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ ، سَرِيعَ الرِّضَا .. وَشَرَّ الرَّجَالِ : مَنْ  
كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ ، بَطِيءَ الرِّضَا .. فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ

(٢) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

(٤) رواه أبو داود كتاب الأدب .

(٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط .

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٣) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

(٥) رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

(٧) رواه أبو داود كتاب الأدب .

الْفَيْءِ<sup>(١)</sup> ، وَسَرِيعَ الْغَضَبِ وَسَرِيعَ الْفَيْءِ ، فَإِنَّهَا بِهَا<sup>(٢)</sup> ..

## الْحَقْدُ

« الْحَقْدُ » هو امتلاء القلب بالبغضاء والكراهية نتيجة الإفراط في شهوة الغضب ، مع عجز الغاضب عن إنفاذ غضبه فيمن غضب عليه .. وهو ثمرة ارتداد الدم إلى القلب بعد فورانه محدثاً فيه الكَمَدَ وَالْحُزْنَ مما يعرض صاحبه للأمراض المختلفة : كارتفاع ضغط الدم ، والذَّبْحَةَ الصدرية ، وارتفاع نسبة السُّكَّرِ في الجسم ، وضيق الشرايين ، وما إلى ذلك .. بالإضافة إلى نزع صفة الإيمان عنه ، إذ تعلمنا من شيوخنا الأفاضل أن : ( الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ ) .. لأن الحقْدَ معناه عدم الرضا بقسم الله وعدله بين خلقه ..

وكما أن الحقْدَ ثمرة للإفراط في الغضب ، فإنه كذلك يُثمر أمراضاً أخرى مثل :

١- الْحَسَدَ .. إذ قد يحمل الحقْدَ على تَمَنِّي زوال النعم عن المحقود عليه ، وإن أصابته ضراء فَرِحَ ، وإن أصابته سَرَاءُ اغْتَمَّ وَحَزِنَ .

٢- التَّشْفِيَّ والشَّمَاتَةَ حتى في الأمور التي لا تصح فيها الشماتة كالموت .. ولا

شماتة في الموت ، إذ كل الناس يموت .. والنبي ﷺ يبين أن الشماتة محظورة

بدعائه : ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ ، وَغَلْبَةِ العَدُوِّ ، وَشِمَاتَةِ

الأعداء )<sup>(٣)</sup> ..

(١) الفَيْءُ : الرجوع عن الغضب . (٢) رواه أحمد باقى مسند الكثيرين . (٣) رواه النسائي كتاب الاستعاذة.

٣- الهجر والمخاصمة والقطيعة فإن كان ذا رَحِمٍ وقع في خطورة شديدة إذ

يقول النبي (ﷺ) : ( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ )<sup>(١)</sup> .. وإن كان من غير

ذوى الرَّحِمِ فقد ارتكب محظوراً .. إذ يقول النبي (ﷺ) : ( لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ

أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ .. يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ،

وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ )<sup>(٢)</sup> ..

٤- التَّكَلُّمُ فِي حَقِّ الْمَحْقُودِ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَحِلُّ مِنْ : كَذِبٍ ، وَغِيْبَةٍ ، وَافْتِرَاءٍ ، وَإِفْشَاءِ

سِرِّهِ ، وَهَتِّكِ سِتْرِهِ .

٥- السُّخْرِيَّةُ مِنْهُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِ وَمَحَاوَلَةُ إِيْذَانِهِ بِشَتَى الْوَسَائِلِ .

٦- مَنَعُهُ حَقُّهُ سِوَاءِ أَكَّانِ هَذَا الْحَقِّ مَادِيًّا : كَالدِّيُونِ ، وَالْمِيرَاثِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ..

أَمْ كَانَ مَعْنَوِيًّا : كَقَوْلِ الْحَقِّ فِي شَأْنِهِ أَوْ الشَّهَادَةِ لَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ ، فَيَقَعُ فِي

خَطِيئَةِ الظلم والتعدى .

٧- انشغال القلب بهذا المرض عن ذكر الله ، فتغلق في وجهه منافذ العلوم :

وَهَيْبَةٌ كَانَتْ ، أَوْ كَسْبِيَّةٌ .

### عِلَاجُ الْحَقْدِ :

علاج كل ذلك أن يُحْسِنَ مِنْ اسْتَشْعَرِ الْحَقْدِ فِي قَلْبِهِ إِلَى مَنْ حَقَّدَ عَلَيْهِ ..

عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : ( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ )<sup>(٣)</sup> .. وهذا هو تصرف

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٢) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٣) سورة فصلت آية ٣٤ .

الأبرار والصدّيقين .. فإن لم يستطع ذلك فلا أقل من أن يُؤدّى إليه حقّه من : صلة رَحِم ، أو قضاء دين .. وما إلى ذلك ، وأن يفوض أمره إلى الله راضياً بقضائه وقدره ، وهذا هو تصرف الصالحين ..

## الْحَسَدُ

« الْحَسَدُ » هو كراهة النعمة عند الغير ، وتمنى زوالها عنه .. وهو من خُلِقَ الكُفَّار والمنافقين ، لأن المؤمن لا يَحْسُد ، إذ إن الحسد اعتراض على قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض في أمور الدنيا .. أما إن كان الحسد في أمور الدين - بشرط عدم تمنى زوال النعمة عن المُنْعَمِ عليه ، وعدم كراهية وجودها ودوامها .. مع محبة الظفرِ بِمِثْلِهَا - فذلك يُسمى « غِبْطَةٌ » ، وتسميته حسداً تَجَوُّزٌ .. ويبيّن النبي (ﷺ) ذلك بقوله : ( لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا )<sup>(١)</sup> .. وقد نسب القرآن الحسد إلى الكفار والمنافقين في أكثر من موضع مثل : ( وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ )<sup>(٢)</sup> .. ( أَمْ تَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ )<sup>(٣)</sup> .. ( إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا )<sup>(٤)</sup> .. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على خلق قلوب

(١) رواه البخارى كتاب الزكاة . (٢) سورة البقرة آية ١٠٩ . (٣) سورة النساء آية ٥٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٢٠ .

الأُنصار من الحسد للمهاجرين فقال : ( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ )<sup>(١)</sup> ..

### وللحسد مراتب أربع :

- ١- أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عن المحسود ولو لم تنتقل إليه .
  - ٢- أن يتمنى الحاسد انتقال النعمة من المحسود إليه .
  - ٣- أن يتمنى مثل النعمة التي لدى المحسود ، فإن لم يحدث تمنى زوالها ، كيلا يظهر التفاوت بينهما .
  - ٤- أن يتمنى مثل النعمة دون زوالها عن المحسود - وهذا لا إثم فيه - وهو ما يُسمى بـ « الغِبْطَة » .
- وتتمثل خطورة الحسد المبين في البنود الثلاثة الأولى في أنه يجعل الحاسد مُعَذَّبًا في الدارين : فهو في الدنيا مهموم محزون .. كلما رأى نعمة على المحسود زادت هَمًّا وحُزْنًا .. وأما في الآخرة فهو معاقب على حسده لأنه من آثام القلب ، كما أنه في حقيقة الأمر اعتراض على قضاء الله وقدره .. وقد نهانا رسول الله (ﷺ) عن الحسد فقال : ( لَا تَحَاسِدُوا ، وَلَا تَبَاغِضُوا ، وَلَا تَقَاطِعُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا )<sup>(٢)</sup> ..
- كما حذرنا من خطورته فقال : ( إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ )<sup>(٣)</sup> .. كما قد يُؤدِّي الحسد إلى انطلاق اللسان بالغيبة ،

<sup>(١)</sup> سورة الحشر آية ٩ . <sup>(٢)</sup> رواه مسلم كتاب البر والصلة . <sup>(٣)</sup> رواه أبو داود كتاب الأدب .

والنميمة ، والفحش من القول ، والسَّعَايَة ، والوشاية للإيقاع بالمحسود ، بالإضافة إلى أن الجوارح قد تنطلق هي الأخرى محاولة إزالة النعمة ، أو منعها عن المحسود بشتى الوسائل ..

ولقد كان الحسد سبباً في ارتكاب أول جريمة في الملائة الأعلى ، والتي تمثلت في حَسَدِ إبليس لآدم عليه السلام ، مما دفعه إلى العصيان والاستكبار عن السجود ، وبقي الحسد في قلبه يدفعه إلى إزالة النعمة عنه فوسوس له ولزوجه حتى أخرجهما من الجنة حيث كان وعد الله : ( إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ )<sup>(١)</sup> .. ولا زال الحسد هو الدافع لإبليس وجنوده في إرادة الشرِّ بيني آدم حتى تقوم الساعة .. كذلك كان حسد ابن آدم لأخيه سبباً في ارتكاب أول جريمة قتل على الأرض ، كما حكى القرآن عنهما : ( وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ <sup>ط</sup> قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> ..

### أسباب الحسد :

١- امتلاء القلب بالحقد .. الذى هو شدة البغضاء والكراهية التى تدفع إلى العداوة .. وهذا هو الحسد بالعداوة .. وهو أشد أنواعه ، لأنه ربما يستغرق العمر كله فى محاولة إزالة النعمة بالحيل ، والسعاية ، والتقاتل ، والتنازع ، وما إلى ذلك ..

<sup>(٢)</sup> سورة المائدة آية ٢٧ .

<sup>(١)</sup> سورة طه الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

٢- الكِبْرُ .. الذى يكون مدعاة لاحتقار الشخص والتعالى عليه ، فإن أصابته  
نعمة رفعت من شأنه ، نشأ الحسد فى قلب المتكبر ، كما حكى القرآن  
الكريم عن قوم « فرعون » : ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا  
وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٲِيهٖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾  
فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ )<sup>(١)</sup> .. وكذلك كان الكِبْرُ  
سببًا فى حسد كفار « مكة » للنبي (ﷺ) إذ قالوا : ( يَتِيمُ أَبِي طَالِبٍ  
يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ )<sup>(٢)</sup> .. وحكى القرآن عنهم : ( وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا  
الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيٲَتَيْنِ عَظِيمٍ )<sup>(٣)</sup> .. ( وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا  
هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُوْلًا )<sup>(٤)</sup> .. كما حكى قولهم عن المؤمنين :  
( أَهٰتُوْلَآءِ مَن بَّٰرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا )<sup>(٥)</sup> ..

٣- التَّعَجُّبُ من أن يُمَيِّزَ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فَيَرْفَعُ عَلَيْهِ .. وهذا هو سبب  
كفر كثير من الأمم حيث حكى القرآن الكريم عنهم : ( قَالُوا مَا آتٰنَا إِلَّا  
بَشَرٌ مِّثْلُنَا )<sup>(٦)</sup> .. ( وَلَٲِنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمۡ إِنكُمۡ إِذَا لَخَسِرُونَ )<sup>(٧)</sup> .. ( قَالُوا  
أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُوْلًا )<sup>(٨)</sup> .. ( وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَآءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ  
عَلَيْنَا الۡمَلٰٲِيْكَةُ أَوْ نَرٰى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِىٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيْرًا )<sup>(٩)</sup> ..

(١) سورة المؤمنون الآيات ٤٥ : ٤٧ . (٢) أسد الغابة لابن الأثير . (٣) سورة الزخرف آية ٣١ .  
(٤) سورة الفرقان آية ٤١ . (٥) سورة الأنعام آية ٥٣ . (٦) سورة يس آية ١٥ .  
(٧) سورة المؤمنون آية ٣٤ . (٨) سورة الإسراء آية ٩٤ . (٩) سورة الفرقان آية ٢١ .

٤- التنازع والتنافس على مقصود واحد .. فإن تحقق المقصود لأحد المتنازعين

حسده الآخرون كما حدث مع إخوة « يوسف » في تنازعهم على حب

أبيهم : ( إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَحَنَّ عَصَبَةٌ )<sup>(١)</sup> فدفعهم

ذلك إلى التفكير في قتل « يوسف » أو إبعاده عن أبيه بأى وسيلة ..

٥- حُبُّ الرِّيَاسَةِ وطلب الجاه والاشتهار بين الناس .. بعلم من العلوم ، أو فن

من الفنون كى يُمدح بأنه فريد عصره وأوانه ووحيد زمانه .. فإن نال أحد

مثل شهرته أو جاهه ساء ذلك فحسده ووقع فيه ..

وفي شأن الحسد على أمور الدنيا يقول « محمد بن سيرين » ( رحمه الله ) :

( ما حسدت أحداً قط على شيء .. إن كان من أهل النار ، فكيف

أحسده على شيء من الدنيا ومصيره إلى النار؟! وإن كان من أهل

الجنة ، فكيف أحسد رجلاً من أهلها أوجب الله له رضوانه؟! )<sup>(٢)</sup> ..

٦- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله .. فيشعر الحاسد وكأن الناس

يأخذون من خزائنه .. والبخيل من ييخل بمال نفسه ، والشحيح من ييخل

بمال غيره .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ( قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ

رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا )<sup>(٣)</sup> ..

هذا .. وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد .. وحينئذ يستفحل

الداء ويعزُّ الدواء .. وغالبًا ما يكون الحسد بين أقوام تجمعهم روابط واحدة .. فالعالم

<sup>(١)</sup> سورة يوسف آية ٨ . <sup>(٢)</sup> مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . <sup>(٣)</sup> سورة الإسراء آية ١٠٠ .

الذى يريد الدنيا يحسد العلماء ، والعابد المرائى بعبادته يحسد العباد .. ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب عنه ..

والحسد أصله العداوة ، والعداوة أصلها التزاحم على مقصود واحد .. ومنشأ كل ذلك حب الدنيا .. والدنيا تضيق على المتزاحمين عليها .. أما الآخرة فلا تضيق فيها ، وخزائن ربنا لا تنضب .. والتنافس فيها مطلوب ممدوح إذ يقول الحق تبارك وتعالى :  
( وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ )<sup>(١)</sup> ..

### علاج الحسد :

يختلف علاج الحسد باختلاف دوافعه وأسبابه .. وإليك البيان :

١- إن كان السبب هو البغضاء والكراهية فلا بد من نزعهما من القلب حتى لا يوجد الدافع إلى الحسد .

٢- إن كان السبب هو الكبر فتذكر قول النبي (ﷺ) : ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر )<sup>(٢)</sup> .. وقوله : ( يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ<sup>(٣)</sup> فِي صُورِ الرَّجَالِ ، يَعْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ )<sup>(٤)</sup> ..  
وعليك بالتواضع كما نصحنا (ﷺ) بقوله : ( مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِغَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ )<sup>(٥)</sup> ..

<sup>(١)</sup> سورة المطففين آية ٢٦ .  
<sup>(٢)</sup> رواه مسلم كتاب الإيمان .

<sup>(٣)</sup> أمثال الذر : أى فى الصغر والحقارة .. و« الذر » : النمل الأحمر الصغير .

<sup>(٤)</sup> رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .  
<sup>(٥)</sup> رواه مسلم كتاب البر والصلة .

٣- إن كان السبب هو التنازع على مقصود أو مطلوب من أمور الدنيا فانزع من قلبك حبها حتى لا تتنافس على زائل ، ويضيع عمرك ولا تبخى منها سوى ما كُتِبَ لك .. وعليك بالعلم أن الدنيا متاعها قليل ، وكل ما فيها فتنة وابتلاء .. والله تبارك وتعالى يقول : ( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ )<sup>(١)</sup> .. وقد ينجح مَنْ تحسده في الاختبار ولا تنجح أنت إن حصلت على ما حصل عليه .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : ( مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَعْمَلُ بَعْلَمِهِ فِي مَالِهِ ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ .. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتَهُ مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمَلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ .. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتَهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ .. وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمَلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ )<sup>(٢)</sup> ..

وفي كل الأحوال يجب على الحاسد :

١- أن يعلم أن ما يريده من زوال النعمة عن أخيه أمر يخرج عن حدود استطاعته لقول الله عز وجل : ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا )<sup>(٣)</sup> .. وأن عطاء الله في الدنيا للعباد قد جرى به القلم من الأزل إذ

(١) سورة التغابن آية ١٥ . (٢) رواه ابن ماجه كتاب الزهد . (٣) سورة فاطر آية ٢ .

يقول عز وجل : ( نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ )<sup>(١)</sup> ..

٢- أن يعلم أن الحسد معصية سواء أبقى في القلب أم دفع إلى أقوال وأفعال .. فكل حاسد آثم ، وحسده ضرر عليه في الدنيا والدين : أما في الدين فلأنه بالحسد قد أسخط الله تبارك وتعالى عليه ، لأنه سخط على قضاء الله ، وكره نعمته التي قسمها بين عباده ، وعدله الذي أقامه في ملكه بحكمته التي خفيت على الكثير من الناس .. وأما في الدنيا فلما يكابده الحاسد من غمٍّ وهمٍّ وحزن كلما رأى نعمة على أخيه .. وأما المحسود فينتفع ديناً ودنياً : أما منفعته في الدين فلأنه مظلوم من جهة الحاسد - خاصة إذا دفعه حسده إلى الغيبة والقدح فيه بذكر مساوئه - فيأخذ من حسنات الحاسد ويعطيه من سيئاته .. وأما انتفاعه في الدنيا فيما يفعل الحاسد بنفسه مما هو مراد للمحسود إذ أوقعها في الحسرة والغم والألم الذي تقاسيه ، فأصبح عدواً لنفسه وصديقاً لعدوه .

٣- أن يعلم أن حبه لأخيه المسلم الذي رأى النعمة عليه يجعله يشاركه في الخير ، وعليه أن يكلف نفسه نقيض ما يدفعه الحسد إليه .. فإن دفعه إلى القدح في أخيه فعليه أن يكلف لسانه الثناء عليه .. وإن حمّله على التكبر

(١) سورة الزخرف آية ٣٢ .

عليه فعليه بالتواضع له .. وإن دفعه إلى الكف عن الإحسان إليه فعليه زيادة الإحسان إليه ، فإن فعل ذلك أحبه المحسود وطاب قلبه ، فعاد ذلك عليه وبادله حباً بحب .

٤- أن يدعو لكل من يرى عليه نعمة قد يحسده عليها كما أوصانا النبي (ﷺ) بقوله : ( أَلَا بَرَكْتَ ؟! ) أى هَلَّا دَعَوْتَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ ؟! .. فحين رأى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ يَغْتَسِلُ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، وَلَا جَلْدَ مُخْبَأَةَ <sup>(١)</sup> !! فَلَبَطَ <sup>(٢)</sup> سَهْلٌ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ !! فَقَالَ : ( هَلْ تَتَّهَمُونَ لَهُ أَحَدًا ؟ ) قَالُوا : نَتَّهَمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ .. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ : ( عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ !! أَلَا بَرَكْتَ ؟! .. اغْتَسِلْ لَهُ ) فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ فَرَاخَ سَهْلٍ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ .. <sup>(٣)</sup>

## البُخْلُ وَحُبُّ الْمَالِ

« البُخْلُ » هو منع الواجب : أى الامتناع عن إنفاق المَالِ فيما يجب .. والبَخِيلُ : هو الذى كلما أراد أن يُنفق ساءته عطيته وتضرر فلا يستطيع الإنفاق .. وهو أمر يحتاج إلى شىء من التفصيل والتوضيح .. ذلك أن معرفة أساس البُخْلِ

<sup>(١)</sup> المخبأة : الفتاة فى خدرها ، وهو كناية عن شدة بياضه .

<sup>(٢)</sup> لبط : صرع وسقط على الأرض .

<sup>(٣)</sup> رواه مالك فى الموطأ .

لازمة لإلقاء مزيد من الضوء عليه .. أساس البخل هو حُبُّ المال .. والمال كالحية لا تؤذى الصائد المتخصص ، ولا تضره ... بل يستطيع أن يستخرج منها الترياق .. أما من لا يعرف كيف يتعامل معها فإنها تلسعه فيموت بسمها .. فكذلك المال فيه خير وشر .. فيه نفع وضر ، والناس في حُبِّ المال صنفان : صنف يحب المال باعتباره وسيلة ، وصنف يحب المال باعتباره غاية ..

أما حُبُّ المال باعتباره وسيلة فتحصر أسبابه فيما يلي :

١- أن يحب المال باعتباره وسيلة لتحصيل الشهوات .. المباح منها والمحظور .. وهذا الصنف يفضل شهواته ، ويقدمها على أى شىء - حتى الواجب - فيغلبها عليه فينفق فيها ، ولا ينفق فيما يجب .

٢- أن يحب المال بسبب طول الأمل في الحياة .. فيكنزه أملاً في طول العمر .. وإن تيقن هذا الصنف من أن أجله ينتهى غداً ما يبخل بالإنفاق .

٣- أن يحب المال من أجل أولاده .. فيمتنع عن إنفاقه في الواجب معتقداً أنه بذلك يؤمن مستقبلهم .

٤- أن يحب المال لأنه مضمون في يده يوفر له الأمان غير واثق بما يأتيه في الغد ، فتكون ثقته بما في يده أكبر من ثقته بما في يد الله .

وأما حب المال باعتباره غاية .. فهو حب لغير سبب .. أى حُبُّ المال لذات المال فيحوّله من وسيلة إلى غاية ، ويغفل عن وظيفته الأصلية فيكنزه ، ويسعد بجمعه ، والنظر إليه ، وعدّه وإحصائه ، والحِرْص عليه .. حتى إنه قد يبخل على نفسه فلا ينفق في الضرورات كالغذاء والدواء .. وهذا الصنف من الناس هو أشدهم مرضاً

وعداوة لنفسه إذ إنه يصبح حارساً على المال حتى يئول من بعده إلى أعدائه لأن البخيل كما هو عدو لنفسه فهو عدو لمن حوله ، مكرّوه منهم ، يتعجل ورثته موته حتى يحصلوا على ما منعهم منه حال حياته .. ولو تخيل ما سوف ينفقون فيه ماله الذى كنزه لهم ما ترك لهم درهماً !! ..

### والناس فى إنفاقهم للمال أصناف :

١- صنف ينفق المال فيما لا يجب أن يُنفق فيه .. وهؤلاء هم المبدرون الذين قال الله فيهم : ( إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ) (١) .

٢- صنف يجبس المال عن أن يُنفق فيما يجب .. وهؤلاء هم البخلاء الذين قال الله فيهم : ( الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ط وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ) (٢) .

٣- صنف ينفق المال فيما يجب ، ويجبسه عما لا يجب .. فينفق حيث يجب الإنفاق ، ويمسك حيث يجب الإمساك .. وهذا هو حد الاعتدال المطلوب الذى أوصى الله عز وجل به فى قوله : ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ) (٣) ، وقوله : ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) (٤) ..

(١) سورة الإسراء آية ٢٧ .

(٢) سورة النساء آية ٣٧ .

(٣) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦٧ .

وعليه فإن إمساك المال حيث يجب البذل بُخْلٌ ، وبذل المال حيث يجب الإمساك تَبْذِيرٌ ، وبينهما وسط : وهو الاعتدال المحمود والمطلوب .

وقد نبّهنا رسول الله (ﷺ) إلى أن البخل يقدر في الإيمان فقال : ( خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ ، وَسَوْءُ الْخُلُقِ ) (١) .. كما نبّه إلى عاقبة البخل فقال : ( اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ ) (٢) .. وقال : ( ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ .. وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ : خَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ) (٣) .. وقال : ( السَّخِيُّ : قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ .. وَالْبَخِيلُ : بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ .. وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بِخِيلٍ ) (٤) ..

وقد كان (ﷺ) يعلمنا الدعاء بقوله : ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ) (٥) ..

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

(٢) رواه الترمذی كتاب البر والصلة .

(١) رواه الترمذی كتاب البر والصلة .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٤) رواه البخاري كتاب الدعوات .

وضرب (ﷺ) مثلاً للمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ فقال : ( مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبْتَانٌ <sup>(١)</sup> مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا <sup>(٢)</sup> .. فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ <sup>(٣)</sup> - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جُلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ <sup>(٤)</sup> وَتَعْفُوَ أَثْرَهُ <sup>(٥)</sup> .. وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ <sup>(٦)</sup> كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوسِعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ <sup>(٧)</sup> ) ..

وربنا تبارك وتعالى يحث عباده على الإنفاق ، فيقول سبحانه : ( وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٦﴾ ) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا <sup>ج</sup> وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٨)</sup> ) .. ويشير سبحانه المنفقين بقوله : ( وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) <sup>(٩)</sup> .. ويُنذِرُ الْبَخْلَاءِ بقوله : ( وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ <sup>ج</sup> وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ <sup>ج</sup> وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ) <sup>(١٠)</sup> ) ..

(١) جبتان : درعان .

(٢) أى من الثديين حتى الترقوتين وهما العظمتان البارزتان فى أعلى الصدر بين الكنفيين وأسفل العنق .

(٣) سبغت : امتدت وغطت . (٤) تخفى بنانه : أى تستر أصابعه .

(٥) تعفو أثره : أى تستر أثره ، والمعنى أن الصدقة تستر خطاياها كما يغطي الثوب الذي يُجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه .

(٦) لزقت : انقبضت . (٧) رواه البخارى كتاب الزكاة .

(٨) سورة المنافقون الآيات ١٠ ، ١١ . (٩) سورة النغبان آية ١٦ .

(١٠) سورة محمد آية ٣٨ .

## الوقاية من البخل :

هناك أربع وصايا للوقاية من البخل .. على الإنسان أن يحرص على العمل بها فلا يصاب بهذا الداء الويل :

١- الحرص على أن يكون كسب المال من حلال .. ذلك أن المال إذا اكتسب من حرام كان سهلاً .. وأدى ذلك إلى الإفراط في حبه ، بالإضافة إلى أنه كلما كان مصدر المال حراماً كان إنفاقه في المحرمات .

٢- بذل الجهود للحصول على القدر اللازم من المال لتغطية الحاجات الضرورية فقط والتي خلقت المال من أجل الحصول عليها ، فقد ورد عن « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) قوله : ( لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ) .. فعلى المرء أن لا يجرى ويلهث طامعاً في الحصول على ما يزيد على ذلك فيصاب بالنهم والشرة .. فإن جاءت الزيادة بغير طمع وسعى حثيث ، كان بها ، وإلا رضى بما قسمه الله له ، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ( إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس<sup>(١)</sup> بُورك له فيه .. ومن أخذه بإشراف نفس<sup>(٢)</sup> لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع )<sup>(٣)</sup> ..

٣- الحرص على إنفاق المال فيما يجب أن يُنفق فيه ، وحبسه عما لا يجب أن يُنفق فيه تجنباً للوقوع في داء البخل أو داء التبذير .

(١) سخاوة نفس : قناعة . (٢) إشراف نفس : طمع وتطلع . (٣) رواه البخاري كتاب الوصايا .

٤- الحرص على إصلاح النية وخلصها لله في الأخذ بالوصايا السابقة ، عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : ( قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )<sup>(١)</sup> .. فقد علمنا أن النية هي أساس الأعمال ، وعليها يكون الثواب أو العقاب ، وبصلاح النية يكون للعبادات ثوابٌ كثواب العبادات كما جاء في قول النبي (ﷺ) : ( إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي (٢) امْرَأَتِكَ )<sup>(٣)</sup> .. وقوله : ( وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا )<sup>(٤)</sup> ( كناية عن مجامعة الرجل زوجته ) .

تلك كانت طرق الوقاية .. وإليك طرق العلاج ..

## علاجُ البخل :

١- إذا كان حُبُّ المال من أجل إرضاء الشهوات ( شهوة البطن وشهوة الفرج ) فعليه بتحرُّى المباح فقط ، والابتعاد عن المحذور ، واستغلال العقل في السيطرة على الشهوات .

(٣) رواه البخارى كتاب المناقب .

(٢) في : فم .

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

(٤) رواه مسلم كتاب الزكاة .

٢- إذا كان حُبُّ المال راجعاً إلى طول الأمل ، وتوقع الحياة الطويلة والعمر المديد .. فعليه أن يتذكر أن الموت نهاية كل حي ، وأن الإنسان لا يضمن عمره ، وقد ينتهى الأجل فجأة دون إنذار ، فإذا أصبح فلا ينتظر المساء ، وإذا أمسى فلا ينتظر الصباح .. بل إذا تنفَّسَ نفساً فلا ينتظر أن يخرج ، فقد يكون آخر أنفاسه .. وما الحياة إلا أنفاس معدودة في أماكن محدودة .

٣- إذا كان حُبُّ المال من أجل تأمين مستقبل أولاده فليتدبر القرآن الكريم ، وكيف رسم لنا الطريق إلى هذا التأمين بقول الحق تبارك وتعالى : ( وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا )<sup>(١)</sup> .. وليعلم أنه إنما يجمع المال لواحد من اثنين : لولد صالح يعمل فيه بطاعة الله ، فيسعد بما شقى هو به .. أو لولد فاسق يعمل فيه بمعصية الله ، فيشقى بما جمع له .. فعليه أن يثق لهم بما عند الله القائل : ( وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ )<sup>(٢)</sup> .. والقائل : ( وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ<sup>ط</sup> وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ )<sup>(٣)</sup> .. ويثق بقول الصادق المصدوق (عليه السلام) : ( مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ )<sup>(٤)</sup> .

٤- إذا كان حُبُّ المال لعدم ثقته بما سوف يأتيه في المستقبل منه ، فعليه أن يتذكر أنه : وُلِدَ عَارِيًّا فَكَسَاهُ اللَّهُ ، وَأَطْعَمَهُ ، وَسَقَاهُ ، وَأَلْهَمَهُ التَّقَامَ ثَدْيِ أُمِّهِ ، وَأَجْرَى فِيهِ اللَّبْنَ دُونَ جَهْدٍ وَدُونَ سَوْأَلٍ .. وأن ما اكتسبه من مال

<sup>(٣)</sup> سورة سبأ آية ٣٩ .

<sup>(٢)</sup> سورة الذاريات آية ٢٢ .

<sup>(١)</sup> سورة النساء آية ٩ .

<sup>(٤)</sup> رواه الترمذى كتاب الزهد .

فبفضل الله وليس بمجهوده وتدبيره .. فكم من مجتهد محروم ، وكم من حامل مرزوق .

٥- إذا كان حب المال من أجل المال ، فلا بد من توبة .. وعليه أن يعلم أنه لن يشبع من هذا المال مهما جمع .. فالله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي : ( إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لابنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ )<sup>(١)</sup> .

## حُبُّ الْجَاهِ

« الْجَاهُ » : هو الاشتهار وذيوع الصيت ، واكتساب المنزلة الطيبة في قلوب الناس .. والمال والجاه هما ركنا هذه الدنيا ، فكما أن المال يؤدي إلى الحصول على المطلوب والمقصود ، فكذلك الجاه .

وحُبُّ الجاه أشدَّ خطراً من حُبِّ المال .. ذلك أن المال يحتاج إلى مشقة في جمعه ، وجهد في تنميته ، وعناء في الحفاظ عليه .. أما الجاه فلا يحتاج في تحصيله إلى جهد ، ولا في حفظه إلى حراسة ، كما أنه ينمو تلقائياً بلا مشقة ، بالإضافة إلى أن المال لا يأتي بالجاه .. وأما الجاه فيأتي بالمال يُيسرُ وسهولة .. وخطورة حب الجاه أنه يقود الإنسان إلى التودد إلى الخلق حتى يمتلك قلوبهم طوعاً ، فيصبح الأحرار عبيداً له ،

<sup>(١)</sup> رواه أحمد مسند الأنصار .

فيصرفه ذلك عن التودد إلى الخالق سبحانه وتعالى ..

**ويوقعه في محظورات عديدة منها :**

١- الكذب ، والخداع ، والاحتيال للحصول على الجاه أو الحفاظ عليه .

٢- الاجتهاد في إخفاء كل ما هو قبيح وذييم عن الناس ، بدلاً من بذل الجهد لعلاج ذلك أو العمل على التخلص منه .

٣- سلوك طرق غير مشروعة : كادعاء الورع ، والتقوى ، والأمانة ، والسخاء ، وحب الناس ، وقضاء مصالحهم للوصول إلى المنزلة في قلوب الخلائق .. فيوقعه ذلك في الرياء الذي يجبط عمله ويورده موارد التهلكة ، إذ هو الشرك الخفى .

٤- تزكية النفس عند الناس ، وانطلاق الألسنة بالمديح والثناء والإطراء ، والتفاف الناس حوله متبركين به ، طالبين دعواته ، حريصين على رضاه ، فيرضى بحمد الناس له دون رضا الله عنه ، مما يوقعه في إرادة العلو في الأرض .. وقد قرن الله تبارك وتعالى هذه الإرادة للعلو في الأرض بإرادة الفساد ، وجعل الجنة لمن خلا قلبه من الإرادتين جميعاً فقال : ( تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ لِمَنْ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ )<sup>(١)</sup> .

ولذلك كان من نصيحة الشيوخ قولهم : ( إن استطعت أن تعرف ولا تعرف

فافعل .. وإن استطعت أن تسأل ولا تسأل فافعل .. وإن استطعت أن تمشي ولا

(١) سورة القصص آية ٨٣ .

يُمشى إليك فافعل ) .. ويقول المصطفى (ﷺ) : ( كَمِ مِنْ أَشْعَثَ <sup>(١)</sup> أَغْبَرَ <sup>(٢)</sup> ذِي طَمْرَيْنِ <sup>(٣)</sup> لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ <sup>(٤)</sup> !! مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ ) <sup>(٥)</sup> .. ويقول : ( أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ : كُلُّ ضَعِيفٍ ، مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ .. وَأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ جَوَّازٍ <sup>(٦)</sup> ، عَتَلٌ <sup>(٧)</sup> ، مُسْتَكْبِرٍ ) <sup>(٨)</sup> .

هذا .. وهناك قدر محدود ومباح من حب الجاه .. فالإنسان في هذه الحياة محتاج إلى زوجة ، وإلى صديق أو أخ في الله ، وإلى مُعَلِّمٍ ومُرَشِّدٍ ، وإلى من يعاونه في أمور الحياة عموماً .. والحرص على وجود منزلة له في قلوب هؤلاء أمر طبيعي ومباح بشرط ألا يكون الوصول إلى هذا القدر المباح عن طريق محظور أو غير مباح .. وإليك بيان ذلك :

١- ألا يكون الجاه بعينه هو المطلوب والمحبوب ، بل يكون الحصول عليه من أجل الوصول إلى المقصود ، وهو المنزلة في قلوب من يعاشرهم ، ويحتاج إلى مودتهم في حياته .

٢- الاكتفاء بالقدر المسموح به من الجاه للحصول على الضرورات ، دون التوسع فيه ، وتجاوز الحد .

٣- ألا يتوصل إلى القدر المباح من الجاه عن طريق غير مشروع : كالغش ،

(١) أشعث الشعر : ملبد مغبر الشعر غير ممشط .

(٢) أغبر : أى على رأسه التراب .

(٣) ذى طمرين : صاحب ثوبين باليين .

(٤) لأبره : لأجابه وجعله باراً في قسمه .

(٥) رواه الترمذى كتاب المناقب .

(٦) الجواز : الفظ الغليظ المتكبر في مشيته .

(٧) العتل : الجافى الشديد الخصومة بالباطل .

(٨) رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

والخيانة ، والكذب ، والنفاق ، والرياء .

٤- عدم ادعاء صفات حميدة ، هو غير متخلق بها ، أو افتعال أعمال طيبة

لمجرد إبدائها للناس دون اقتناع القلب بها ، وإخلاصه في أدائها .

٥- ألا يهدف من وراء الجاه إلى الحصول على المال .. وإلا كان اكتساب المال

عن هذا الطريق حراماً .

٦- ألا يتغنى بطاعة الله الجاه عند الناس .. وإلا وقع في شبك الشُّرك الخفى ..

بل يطلب بطاعته رضا الله سبحانه وتعالى .

٧- أن يخفى معاصيه ، ويستر مساوئه بستر الله له .. محاولاً إصلاح نفسه ،

والتخلي عن القبيح من فعالة .. وليس من أجل الاحتفاظ بمنزلته في

قلوب الناس .

٨- ألا يغتر بمدح الناس له وثنائهم عليه مهما وافق ذلك الحقيقة ، بل يحاول أن

يكون خيراً مما يظنون .

## علاج حُبِّ الجَاه :

مَنْ غلب على قلبه حُبُّ الجاه صار مقصوراً الهَمُّ على مراعاة الخلق ، شغوفاً

بالتودد إليهم ، طالباً المنزلة في قلوبهم .. فيضطر إلى التظاهر بخصال حميدة هو

خال منها .. وذلك هو النفاق الذي يؤدي إلى الرياء والشرك الخفى .. لذا كان

العلاج واجباً ، وإليك بيانه :

١- العلم بأن الجاه الحقيقي عند الله تبارك وتعالى ، فهو المالك للدنيا والآخرة ،

وهو المالك لقلوب العباد ، القادر على غرس محبتك فيها ، كما جاء في

الحديث : ( إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جَبْرِيْلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ ،  
فِيحِبُّهُ جَبْرِيْلُ ، فَيُنَادِي جَبْرِيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا  
فَأَحْبِبُوهُ ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ )<sup>(١)</sup> .

٢- العلم بأن الجاه عَرَضَ زائل ، وأنه ليس من الباقيات الصالحات ، ولا يوضع  
في ميزان العبد يوم القيامة .. بل قد يُسأل عنه ويُحاسب عليه .

٣- العلم بأن مَنْ يملكون الجاه لا يعيشون حياتهم في سعادة غامرة .. وإنما  
يدفعون ثمنه من حرّيتهم الشخصية .. فهم واقعون تحت مراقبة العيون  
لحركاتهم وسكناتهم ، ويُشارُ إليهم بالبنان في كل مكان .. هذا  
بالإضافة إلى قلقهم وخوفهم على هذا الجاه من الزوال .

٤- العلم بأن صاحب الجاه معرض للحسد ، والحقد ، والكراهية ، والإيذاء ،  
وتشويه السمعة ، ومحاولة الإيقاع به لنزع الجاه عنه .

٥- العلم بأن السعى للجاه مدعاة للمراعاة ، والنفاق ، والكذب ، والادّعاء ..  
وكلها من المحظورات المهلكة .

٦- العلم بأن حُبَّ الجاه قد يُعَرِّضُ الإنسانَ لأن يشتري الدنيا بالآخرة ، إذ إن  
دخول حُبِّ الجاه إلى القلب يُخْرِجُ منه الإخلاصَ لله وابتغاء رضاه .

٧- قطع الطمع فيما في أيدي الناس ، والطمع فيما عند الله .

٨- كسب القوت بعمل اليدين ، وليس بادّعاء الدّين والتقوى .

٩- ابتغاء وجه الله الكريم بالعبادة والتقوى والعمل الصالح .

<sup>(١)</sup> رواه البخارى كتاب بدء الخلق .

١٠ - إخفاء الأعمال الصالحة من النوافل قدر الإمكان .. فلا يُظهر للناس إلا ما يجب إظهاره وإعلانه من الفرائض .

## الرِّيَاءُ

« الرِّيَاءُ » : هو طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادة على وجه الخصوص .. فإذا توصل الإنسان إلى الجاه عن طريق إظهار الطاعة والعبادة لله قاصدًا ذلك فهذا هو المرئى ، لأنه قصد الخلاق بطاعة الله ولم يقصد الخالق .

وكلمة « رِيَاءٌ » مشتقة من كلمة : « رُؤْيَةٌ » .. أى : حب رُؤْيَةِ الناس للأعمال والعبادات .. والرِّيَاءُ بهذا المعنى شَرِكٌ خَفِيٌّ ، وهو مذموم في كتاب الله تعالى في مواضع عديدة منها : ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٤٤﴾ ) .. ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ) (٢) .. ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ) (٣) .. ويقول الرسول (ﷺ) : ( إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ : الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ .. قالوا : وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ ؟! .. قال : الرِّيَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً أَوْ خَيْرًا ؟! ) (٤) .. ويقول الصحابي « شَدَّادُ بْنُ

(١) سورة الماعون الآيات من ٤ : ٧ .  
(٢) سورة النساء آية ١٤٢ .  
(٣) سورة البقرة آية ٢٠٤ .  
(٤) رواه البيهقي في شُعب الإيمان .

أَوْسٍ « (رضي الله عنه) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : ( أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرْكَ ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ .. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَشْرِكُ أُمَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟! قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجْرًا وَلَا وَثَنًا <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ .. وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ : أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ ) <sup>(٢)</sup> .. وَقَدْ رَأَى « عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ » (رضي الله عنه) رَجُلًا يُطَاطِئُ رِقْبَتَهُ فَقَالَ : ( يَا صَاحِبَ الرِّقْبَةِ ، ارْفَعْ رِقْبَتَكَ ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ ) <sup>(٣)</sup> .. وَيَقُولُ النَّبِيُّ (ﷺ) : ( مَنْ سَمِعَ ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ .. وَمَنْ يُرَائِي ، يُرَائِي اللَّهُ بِهِ ) <sup>(٤)</sup> ..

وَيُحَذِّرُ (ﷺ) مِنَ عَاقِبَةِ الرِّيَاءِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : ( إِنْ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى <sup>(٥)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا .. قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ،

<sup>(١)</sup> الوثن : الصنم .

<sup>(٢)</sup> رواه أحمد مسند الشاميين .

<sup>(٣)</sup> كتاب الكبائر للذهبي .

<sup>(٤)</sup> رواه البخاري كتاب الرقاق . <sup>(٥)</sup> يُقْضَى : يُحْكَم .

قَالَ : فَمَا عَمَلْتِ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup> .. فالرياء لم يحبط أعمالهم فقط ، بل قادهم إلى جهنم والعياذ بالله ..

وللرياء أركان ثلاثة :

- ١- قِصْدُ الرِّيَاءِ ، وهو النية في القلب .
- ٢- مُرَاءَى بِهِ ، وهو الأعمال الصالحة والطاعات على وجه الخصوص .
- ٣- مُرَاءَى مِنْ أَجْلِهِ ، وهو الحصول على أمر من أمور الدنيا ، سواء أكان مباحاً أم كان محظوراً .. وبتفاوت درجات هذه الأركان تتفاوت خطورة مرض الرياء ، وتتراوح درجاته بين المكروه والحرام .. وإليك البيان :

أولاً - قِصْدُ الرِّيَاءِ :

- ١- إِذَا قِصَدَ بَعَادَتِهِ أَوْ أَعْمَالَهُ الرِّيَاءَ فَقَطْ : بحيث إن لم يره أحد من الناس لم يأت بهذه العبادات أو الأعمال أصلاً .. فهذا عبادته مرفوضة مردودة عليه ، لا يجنى منها إلا مقت الله وغضبه .
- ٢- إِذَا قِصَدَ بِأَعْمَالِهِ الثَّوَابَ وَالرِّيَاءَ مَعًا : فبعض العلماء يرى أن هذا العمل لا ثواب له ، ولا وزر فيه ، بينما يرى البعض الآخر أن قصد الرياء محبط للعمل ، ومؤخذ صاحبه على نية الرياء .

<sup>(١)</sup> رواه مسلم كتاب الإمارة .

٣- إِذَا غَلَبَ قَصْدُ الرِّيَاءِ عَلَى قَصْدِ الثَّوَابِ : حَبَطَ عَمَلُهُ بِاتِّفَاقٍ .. أما إذا غلب  
قصد الثواب قصد الرياء فقد رأى بعض العلماء أنه مثابٌ على قدر قصده  
الثواب ، معاقبٌ على قدر قصده الرياء .

### ثانياً - المراءى به :

١- أن يُرائى بأصل العقيدة فيُظهر الإيمان ويُطن الكفر .. وهذا هو أغلظ أنواع  
الرياء ، وصاحبه مخلد في النار لأنه جمع بين وزر الكفر في الباطن ، ووزر  
النفاق في الظاهر .. وقد جاء ذكر هذا الصنف من الناس كثيراً في القرآن ،  
مثل : ( إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ  
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ )<sup>(١)</sup> .. ( وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا  
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ )<sup>(٢)</sup> .. ( وَمِنَ النَّاسِ مَن  
يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> .. وهؤلاء قد توعدهم  
الله تبارك وتعالى بأقصى درجات العذاب فقال : ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ  
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا )<sup>(٤)</sup> .

٢- أن يُرائى بالفرائض مع بقاء عقيدة الإسلام في قلبه .. فهو يتكاسل عن  
أدائها إذا كان منفرداً ، ولكنه مُقرٌّ بفرضيتها ويؤديها أمام الناس فقط ..  
وهؤلاء حكم عليهم العلماء بالفسق لعدم أدائهم الفرائض .. وبأنهم

(١) سورة المنافقون آية ١ . (٢) سورة آل عمران آية ١١٩ . (٣) سورة البقرة آية ٨ .

(٤) سورة النساء آية ١٤٥ .

مُعَاقِبُونَ عقاب المرأين ، لكنهم لا يخلدون في النار ، وإنما يمكنون فيها بقدر ما يستحقون على ريائهم .

٣- أن يُرأى بالنوافل .. والعبد مطالب بالفرائض فقط ، فإن أتى بالنوافل أُثيب عليها إن كان مخلصاً فيها ، وجبرت ما اعتور الفرائض من نقص غير مقصود .. أما إذا رأى بها فإنه يصبح آثماً ، ويُعاقب عقاب المرأين .

٤- أن يُرأى بصورة العبادة .. كأن يُطيل الركوع والسجود على خلاف عادته ، أو أن يظهر الخشوع فيطأطئ رأسه وما إلى ذلك .. فهذا قد ينقص من ثوابه .. وأمره مفوض إلى الله : إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه .

٥- أن يُرأى بالمظهر كأن يطلق لحيته ، أو يلبس الثياب القصيرة التي لا تغطي الكعبين ، أو يلبس الثياب الخشنة والمتواضعة ويمسك المسبحة يتمم عليها ، أو يتقعر في كلامه ويتلو بعض الآيات أو الأحاديث ، أو يدعى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك من أجل الناس .. وحساب هذا يتوقف على غرضه من هذا الرياء ، ومقصوده منه .

٦- أن يُرأى بعلاقته بمن اشتهروا بالعلم والصلاح .. فيتودد إليهم ، ويُسخّر نفسه لخدمتهم ، ويحف بهم في مجالسهم ليس حباً فيهم ، وإنما لكي يعتقد الناس أنه على شاكرتهم أو أخذ عنهم ، متبع لهم ، سالك لسلوهم .. وهذا يتوقف حسابه على مراده من ذلك .

### ثالثاً - المرأى لأجله :

١- أن يُرأى بالطاعة للوصول إلى المعصية - والعياذ بالله - كصاحب تجارة ،

أو مهنة ، أو حرفة .. إلخ .. يُطلق لِحَيْتِهِ ، ويُظهر العبادات ، ويحج بيت الله الحرام ، فيشتهر بين الناس بالصلاح فيتعاملون معه على هذا الأساس وهو لهم غاش .. وهؤلاء حسابهم شديد ، وعقابهم فظيع .

٢- أن يُرأى بالطاعة للوصول إلى متاع الدنيا من الأمور المباحة .. كأن يتزوج من ابنة رجل صالح ، أو أن يجد عملاً يقات منه ، أو أن يترقى في وظيفته ، أو يجد مسكناً لأسرته .. وما إلى ذلك .. وهذا الصنف من الناس أمره مُفَوَّض إلى الله .

٣- أن يُرأى بالطاعة خوفاً من سخط الناس أو من أن يصغر في أعينهم .. وقد غفل هذا المرأى عن أن إرضاء الخلق من الأمور التي لا تُدْرَك ، وأن مَنْ أَحَبَهُ كُلُّ النَّاسِ كَانَ مُنَافِقًا .. ومن كرهه كل الناس كان فاجراً ، وأن مذمة الناس ومدحهم لا تزيد ثواب الله ، ولا تنقصه ، وإنما العبرة بنظر الله تبارك وتعالى إلى العبد .

هذا .. والرِّياءُ نوعان : « رياء جليُّ » ، و« رياء خفيُّ » ..

أما « الرِّياءُ الجليُّ » : فهو الذي يكون دافعاً للأعمال أو سبباً لإظهارها .. وأما « الرِّياءُ الخفيُّ » : فهو داء مستبطن في القلب أخفى من ديب النمل لا يكون دافعاً إلى الأعمال ، وإنما يظهر بعد الشروع فيها : مثل أن يقف الإنسان للصلاة قاصداً الطاعة ، ومبتغياً وجه الله تعالى ، فيدخل عليه أحد الناس ، فيسرُّ برؤيته له على هذه الحالة من الطاعة أو العبادة .. فإن صرف هذا الخاطر عنه دون إبطاء : فلا إثم عليه ، أما إذا استقر الخاطر في قلبه فدفعه إلى الإطالة في القراءة ، أو الخشوع في

حركاته ومظهره : فإن صلاته تبطل .. فقد قال رسول الله (ﷺ) : ( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ : إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ )<sup>(١)</sup> .. فإنك إن شربت شراباً من إناء ، ثم اكتشفت وجود شوائب في آخره ، فلا بد أن تكون الشوائب قد أثرت على أوله .. وهناك مَنْ ينتظر على طاعته أن يُوقَّره الناس ويقوموا له ، ويقضوا حوائجه ، ويقدموه في مجالسهم ، فإذا لم يحظَ بذلك تضايق واغتاظ . وهناك مَنْ يُحدِّث الناس بطاعته ، وأعماله الصالحة مبتغياً بذلك الثناء عليه ، أو الإعجاب به ، مما قد يوقعه في الكذب والمبالغة والتدليس . وكل ذلك من أنواع الرياء الخفِي الذي قد يجبط الأعمال .. أعاذنا الله تبارك وتعالى منه بفضلته وكرمه .

### علاج الرياء :

لَمَّا كَانَ الرَّيَاءُ مُحِبِّطًا لِلْأَعْمَالِ ، وَسَبِيًّا لِمَقْتِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، اعْتَبَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ كِبَائِرِ الْمَهْلَكَاتِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَنَبَّهُ لَهَا ، وَيَتَّقَى شَرَّ الْوُقُوعِ فِيهَا بِمَعْرِفَةِ بَوَاعِثِهَا وَدَوَائِعِهَا ، وَالْعَمَلُ عَلَى النِّجَاةِ مِنْهَا ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى الْعِلَاجِ .. وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ :

١- العلم بأن الباعث على الرياء هو : سرور النفس بالثناء والحمد ، وتألمها

بالذم والانتقاص ، وطمعها فيما في أيدي الناس .. وقد يوضح ذلك ما ورد

عن النبي (ﷺ) حين سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً<sup>(٢)</sup> ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً<sup>(٣)</sup> ،

وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ (ﷺ) : ( مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ

<sup>(٢)</sup> أى يراه الناس مقاتلاً شجاعاً فيهابوه ويوقروه .

<sup>(١)</sup> رواه الترمذى كتاب الزهد .

<sup>(٣)</sup> أى يأنف أن يُذم بأنه مقهور مغلوب .

كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ( <sup>(١)</sup> ) ..

٢- مُرَاقِبَةُ النَّفْسِ مِرَاقِبَةٌ شَدِيدَةٌ كَمَا لَوْ كَانَ يِرَاقِبُ عَدُوًّا يَتَرَبَّصُ بِهِ .. حَتَّى

يَتَأَكَّدُ مِنْ خُلُوصِ طَاعَتِهِ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا .. فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ( ﷺ ) : ( أَعْدَى

عَدُوِّكَ : نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَيْتِكَ ) ( <sup>(٢)</sup> ) ..

٣- الْعِلْمُ بِأَنَّ خَيْرَ دَوَاءٍ لِلرِّيَاءِ هُوَ الْخِفَاءُ .. فَعَلِيهِ أَنْ يَخْفَى عِبَادَاتِهِ ، وَطَاعَاتِهِ ،

وَأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةَ - الَّتِي لَيْسَتْ مِنَ الْفَرَائِضِ - قَدْرَ إِمْكَانِهِ عَنِ النَّاسِ .. أَمَّا

الْفَرَائِضُ فَفِي إِظْهَارِهَا فَائِدَةُ الْاِقْتِدَاءِ ، وَالتَّرْغِيبُ فِي الْخَيْرِ ، وَإِعْلَانُ شَعَائِرِ

الْإِسْلَامِ .. وَرَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ( إِنْ تُبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ

تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ<sup>ج</sup> وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ<sup>ق</sup> مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ<sup>ق</sup>

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) ( <sup>(٣)</sup> ) .. فَقَالَ الْعُلَمَاءُ : ( إِنْ الْمَقْصُودُ بِالْإِبْدَاءِ وَالْإِظْهَارِ :

هُوَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْإِخْفَاءِ : هُوَ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ ) .

٤- الْعِلْمُ بِأَنَّ مَدْحَ النَّاسِ أَوْ ذَمَّهُمْ لَا يَفِيدُ الْعَبْدَ وَلَا يَضُرُّهُ مَا دَامَ عَمَلُهُ خَالِصًا

لِوَجْهِ اللَّهِ .. فَعَلِيهِ أَنْ يَقْصُرَ هَمَّهُ عَلَى رِضَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، لِأَنَّ رِضَاءَ

الْخَلْقِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُدْرِكُ .

٥- الْعَمَلُ عَلَى دَفْعِ السَّرُورِ الَّتِي قَدْ يَعْتَرِي النَّفْسَ مِنْ رُؤْيَةِ النَّاسِ لِعِبَادَتِهِ وَعَمَلِهِ

الصَّالِحِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي الْمَحْظُورِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَنَاطَ السَّرُورِ هُوَ الْفَرَحُ بِفَضْلِ

اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ .. فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

(<sup>١</sup>) رَوَاهُ مُسْلِمٌ كِتَابَ الْإِمَارَةِ . (<sup>٢</sup>) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ . (<sup>٣</sup>) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٧١ .

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١) .

٦- اللجوء إلى الله تبارك وتعالى وسؤاله النجاة من شبهات الرياء .. وإن مدحه  
مادح فعليه - حتى لا يقع في المحذور - أن يقول كما أثر عن بعض السلف :  
( اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنَ النَّاسِ .. اللَّهُمَّ  
اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، واجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا  
يُظُنُّونَ ) (٢) ..

## العُجْبُ

« العُجْبُ » : هو استعظام النعمة ، والركون إليها وعدم نسبتها إلى المُنْعَمِ ..  
وهو يختلف عن الكِبَرِ في أن الكِبَرِ يستلزم أن يكون لدى المتكبر ما يتكبر به ، وأن  
يكون هناك مَنْ يتكبر عليه ، أما العُجْبُ فهو إعجاب المرء بنفسه أو بعقله ، أو بأى  
صفة من صفات الكمال أو الجمال ، وإن كان كمالاً وهمياً .. ولو لم يكن معه  
أحد من الناس وكان وحيداً في مكان ، فهو معجب بهذه الصفة ، مطمئن إليها ،  
معتقد دوامها ، غافل عن المُنْعَمِ - سبحانه وتعالى - الذي تفضل عليه بإنعامه  
وإحسانه .. بل قد يزيد على ذلك ، فيعتقد أنه مُكْرَمٌ لذاته ، مستحق لهذه النعم ..  
وقد يصل به الأمر إلى اعتقاد أنه سوف ينال مثلها في الآخرة ، أو أفضل منها ،  
فيقوده كل ذلك إلى الكفر بنعمة الله تبارك وتعالى .. وقد جاء في القرآن مثال لذلك

(١) سورة يونس آية ٥٨ . (٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان .

في قول الحق تبارك وتعالى : ( وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا )<sup>(١)</sup> ..

وكذلك في قوله عز وجل : ( وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ )<sup>(٢)</sup> ..

كما أن العجب قد يؤدي بصاحبه إلى الافتخار ، فينطلق لسانه بذكر محاسنه وما يتمتع به من صفات ، وقد يستبد بنفسه ورأيه ، فلا يستجيب لنصح ناصح ، ويستنكف أن يسأل عما لا يعلم فيزداد جهلاً على جهل .. وقد جاء في القرآن الكريم أمثلة كثيرة لهذا الداء ، والباعث عليه من مختلف النعم التي أطغت أصحابها فنسبوها إلى أنفسهم ولم ينسبوها إلى الله .. وإليك البيان :

## ١- العُجْبُ بِالْقُوَّةِ :

( فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً )<sup>(٣)</sup> ..

ويلاحظ أن صفة القوة لم تكن حقيقية فيهم ، وأن إعجابهم بهذه الصفة كان وهماً .. وكاد هذا المرض أن يصيب بعض الصحابة - الذين هم أفضل القرون - لولا أن تداركهم الله برحمته .. كما حكى القرآن الكريم عنهم : ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ )<sup>(٤)</sup> .. وكان هذا في غزوة « حُنَيْنٍ » حين قال بعضهم : لن نُغَلَبَ اليوم من قلة .. فأوكلهم الله إلى قوتهم التي أعجبوا بها ،

<sup>(١)</sup> سورة الكهف آية ٣٦ . <sup>(٢)</sup> سورة فصلت آية ٥٠ . <sup>(٣)</sup> سورة فصلت آية ١٥ .

<sup>(٤)</sup> سورة التوبة آية ٢٥ .

فانهزموا وأدبروا أمام عدوهم ، ثم تاب الله عليهم ، كما جاء في قوله تعالى : ( ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا )<sup>(١)</sup> ..

## ٢- العُجْبُ بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ :

( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ )<sup>(٢)</sup> ..

وهؤلاء أيضاً لم يكونوا محقين ، إذ رَدَّ اللهُ تبارك وتعالى قائلاً : ( قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى )<sup>(٣)</sup> ..

## ٣- العُجْبُ بِالْعَمَلِ :

( أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ )<sup>(٤)</sup> ..  
( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا )<sup>(٥)</sup> ..

والآيات تشير إلى أن إعجاب هؤلاء بأعمالهم أعماهم عن حقيقتها ، وهياً لهم أنها طيبة وصالحة وهي - في حقيقتها - أعمال سيئة ضالة أهلك أصحابها

(١) سورة التوبة آية ٢٦ . (٢) سورة سبأ الآيتان ٣٤ ، ٣٥ . (٣) سورة سبأ الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) سورة فاطر آية ٨ . (٥) سورة الكهف الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ .

من حيث لا يشعرون ..

كما أن إعجاب المرء بعمله قد يفسده - ولو كان عملاً صالحاً في أصله -  
مثل ما جاء في قوله تبارك تعالى : ( يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ  
وَالْأَذَى )<sup>(١)</sup> .. وَالْمَنُّ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اسْتِعْظَامِ الْمُتَنَفِقِ لِنَفْقَتِهِ ، وإعجابه بإنفاقه ..  
وكما حدث من بعض الأعراب حين تملكهم العجبُ بإسلامهم ، فحكى القرآن  
عنهم : ( يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ  
هَدَانَا لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ )<sup>(٢)</sup> ..

ويلاحظ من كل ما سبق أن العجبَ وهمٌ كبير يكمن وراءه الشيطان ليضل به  
الإنسان عن الحق ، أو ليُفسد به عمله الصالح ويحبطه .. وأساس هذا الداء رؤية  
الإنسان للنعمة بأسلوب يحجب عنه رؤية المنعم الذي إن شاء أعطى وإن شاء  
أمسك ..

## كَيْفَ يَرَى النَّاسُ النِّعْمَةَ !؟ ..

١- صنف يعلم أن النعمة منة من الله وفضل ، فلا ينسبها إلى نفسه ، ولا  
تحجبه عن رؤية المنعم ، فيشكر الله عليها ، ويشفق من زوالها وعدم  
دوامها .. فالمانح مانع ، والباسط قابض .. ولا يكون مطمئناً لكمالها ،  
ويخشى أن يكون مقصراً في أداء ما عليه فيها .. فلو كانت طاعة لله مثلاً  
لرأى في نفسه التقصير ، ولو ضمن كمالها لم يضمن قبولها ، فهو على وجل

<sup>(٢)</sup> سورة الحجرات آية ١٧ .

<sup>(١)</sup> سورة البقرة آية ٢٦٤ .

من ذلك .. وهؤلاء يقول الله تبارك وتعالى عنهم : ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ )<sup>(١)</sup> .. والإشفاق خوف مع زيادة اعتناء .. ومن هؤلاء « عمر ابن الخطاب » - أفضل الصحابة بعد « أبي بكر الصديق » - الذى روى أنه أخذ تَبَنَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : ( لَيْتَنِي هَذِهِ التَّبَنَةُ ، لَيْتَنِي لَمْ أَكْ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًا مَّنْسِيًا )<sup>(٢)</sup> .. وحين طُلب منه أن يَسْتَخْلِفَ وهو مَطْعُونٌ قد خرجت أحشأؤه قال : ( وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لَا لِي ، وَلَا عَلَيَّ ، لَا أَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا )<sup>(٣)</sup> .. يقول ذلك وهو الإمام الأَوَّابُ ، النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ ، الْمُوَافِقُ حُكْمَهُ حُكْمَ الْكِتَابِ ، الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ : أَحْجُبْ نِسَاءَكَ ، فَزَلَّتْ آيَةُ الْحِجَابِ .. والذى قال فيه رَسُولُ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ : ( لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ ، لَكَانَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ )<sup>(٤)</sup> ..

٢- صنف يعلم أن النعمة من الله ، فيشكره عليها ويفرح بها من منطلق : ( قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ )<sup>(٥)</sup> .. ولكنه غير مشفق من زوالها ، ولا يشعر بالوجل أو الخوف من التقصير في

<sup>(٢)</sup> رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

<sup>(٤)</sup> رواه الترمذى كتاب المناقب .

<sup>(١)</sup> سورة المؤمنون الآيات من ٥٧ : ٦٠ .

<sup>(٣)</sup> رواه البخارى كتاب الأحكام .

<sup>(٥)</sup> سورة يونس آية ٥٨ .

أداء حقها .. قد ألهمت النعمة عن الاهتمام بما اهتم به السابقون .. وهذا الصنف على خطر من أن ينزلق إلى صفوف الصنف الثالث .

٣- صنف يفرح بالنعمة ويركن إليها فتحجبه عن المنعم ، فلا ينسب النعمة إليه بل ينسبها إلى نفسه ويرى أنه استحقها عن جدارة ، وهذا هو الصنف الذى أصابه داء العجب وتمكّن من قلبه .. وإذا لم يتدارك نفسه بالعلاج هلك .. ويقول النبي (ﷺ) : ( ثَلَاثٌ مُّهِلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَىٌّ مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ )<sup>(١)</sup> ..

كما أن داء العجب إذا تمكّن من الإنسان أدى به إلى :

أولاً : أن يغفل عن ذنوبه ، أو يستحقرها فلا يستغفر منها أو يقلع عنها .

ثانياً : أن يستعظم طاعته وعبادته فيمنّ بها على الله ..

ثالثاً : أن يستبد بنفسه وبرأيه وعقله ، فلا يستمع لنصح ناصح .. ولا يسأل عن

شئ لا يعلمه ، فيزداد جهلاً على جهل ، ويصاب بأمراض أخطر وأفدح .

## علاج العجب :

يتلخص علاج العجب في الأمور الآتية :

١- العلم بأن النعم بجميع أنواعها وأشكالها من : مال ، وجاه ، وجمال ، وقوّة ،

وطاعة ، وصلاح ، ونسب - من فضل الله ، وليس باستحقاق العبد ، أو

بجهد ، أو بتدبيره : ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> ..

<sup>(٢)</sup> سورة النحل آية ٥٣ .

<sup>(١)</sup> رواه البيهقي في شعب الإيمان .

٢- العلم بأن نعم الدنيا غير دائمة ، وأنها إلى زوال : إما بانتقالها عنك ، أو بانتقالك أنت عنها .. فالموت قادم لا محالة : ( فَكَايِنٌ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَعْرِى مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ )<sup>(١)</sup> .

٣- العلم بأن النعم أمانة وأن الإنسان مسئول عنها يوم القيامة فيما عمل فيها :  
( ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ )<sup>(٢)</sup> .

٤- العلم بأن الدنيا دار عمل ، وليست دار جزاء .. فما من نعمة فيها إلا وهى اختبار وابتلاء : ( وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً )<sup>(٣)</sup> .. فيجب أن تُستخدم فيما خُلقت له ، وليس للاختيال أو الافتخار .

٥- العلم بأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شىء ، فلا تُعجب بطاعتك وعبادتك وعملك للخير ، فقد لا يوافق القبول ، أو يفسده بعض الرياء ، أو المَن والأذى .. وقد قال النبى ﷺ : ( لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : لَا ، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ )<sup>(٤)</sup> ..

٦- العلم بأن المقياس فى التفاضل بين الناس هو التقوى ، وليس أى شىء آخر :  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَايِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الحج آية ٤٥ . (٢) سورة التكاثر آية ٨ . (٣) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

(٤) رواه البخارى كتاب المرضى . (٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

## الغُرُورُ

« الغُرُورُ » : هو ركون النفس إلى ما يوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع نتيجة خداع الشيطان للإنسان .. وهو مفتاح الشقاوات ، ومنبع المهلكات .. و« الغُرُورُ » في اللغة : الخداع .. فالمغرور مخدوع يرى الشيء ويعتقده على خلاف ما هو عليه من غير سند أو دليل .. فكل من يعتقد أنه على خير أو صائر إلى خير في العاجل أو في الآجل نتيجة شبهة فاسدة أو خداعٍ من الشيطان فهو مغرور .

### والغُرُورُ نوعان :

١- غرور بالله .. كما جاء في قوله تعالى : ( يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ )<sup>(١)</sup> .. ( يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ )<sup>(٢)</sup> .. ( وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ )<sup>(٣)</sup> .

٢- غرور بالدنيا .. كما جاء في قول الله تعالى : ( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ )<sup>(٤)</sup> ..

وقد وصف الله تبارك وتعالى الغرور بالدنيا بقوله : ( أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

(١) سورة فاطر آية ٥ . (٢) سورة الانفطار آية ٦ . (٣) سورة الحديد آية ١٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١) .. وأوضح سبحانه  
هذا الغرور - وهو الرضا بالدنيا والاطمئنان بها والركون إليها - بقوله : ( إِنَّ  
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ  
ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ) (٢) .. كما أوضح سبحانه علامة الغرور بالله ، وهى عدم الخوف  
من الموت بقوله : ( قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ  
النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (٣) .

ومن الطبيعى أن يخاف الإنسان الموت .. فمن كان خوفه من الموت يرجع إلى  
أنه سيحرمه من ماله وجاهه - أى من متع الدنيا عموماً سواء أكانت مباحة أم  
ممنوعة - فذلك الذى غرته الدنيا .. ومن كان خوفه من الموت يرجع إلى إحساسه  
بعدم كمال عمله وبالتقصير فيه ، فذلك ليس بمغرور ، وهو إحساس الصالحين ..  
ومن كان لا يهرب الموت ولا يخافه ، فذلك : إما كافر بالبعث ، وإما مغرور بالله  
تمنى على الله الأمانى ، وخدعته نفسه ، وظن أنه من الصالحين المقبولين ، وغاب  
عنه أن الله لا يجب عليه شىء .. ومن الناس من يعتقد أنه على علاقة طيبة بالله ،  
ودليله على ذلك أن الله تبارك وتعالى يمنحه ما يريد ويعطيه ما يطلب ، ويرتكب إلى  
ذلك فيفترط فى الطاعات ، والدليل على فساد ذلك الاعتقاد قول الله تبارك وتعالى  
لأمثال هؤلاء : ( اتَّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُطَمِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٢٠﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۗ

(٣) سورة الجمعة آية ٦ .

(٢) سورة يونس آية ٧ .

(١) سورة الحديد آية ٢٠ .

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (١) .. وقوله : ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ) (٢) .. ويؤكد ذلك قوله : ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَدَابُ مُهِينٌ ) (٣) .. وقوله : ( سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمَلِّ لَهُمْ إِنَّا كِيدِي مَتِينٌ ) (٤) ..

وعليه .. إذا رأيت الله مُنْعِمًا على عبد ، وهو مقيم على معصيته ، فاعلم أن ذلك استدراج منه سبحانه .. وقد كان السابقون إذا أقبلت الدنيا على أحدهم خاف وارتعد وبكى ، وقال : ذنب عَجَّلْت عقوبته .. وإذا انصرفت عنه الدنيا قال : مرحبًا بشِعَارِ الصالحين .. أما المغرور فإذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة له من الله ، وإذا صُرِفَتْ عنه ظن أنه هَوَانٌ : ( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُهُ وَنَعَّمَهُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ) (٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ) (٥) ..  
 وحين سُئِلَ رسول الله (ﷺ) : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : ( الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ (٦) ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ (٧) الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ ) (٨) .. فالذي يَرُكَنُ إِلَى أَنْ اللَّهُ

(١) سورة المؤمنون الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٨ .

(٣) سورة الفجر الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤) سورة الفجر الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) رقة : ضعف .

(٤) رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

تبارك وتعالى ييسط له الرزق ، أو يعطيه ما يطلب ، فيعتقد بذلك أن علاقته بالله طيبة ، وأنه صائر إلى خير - مخدوع ، ومغرور بالله .. فالله تبارك وتعالى يُعطي الدنيا لِمَنْ يُحِبُّ وَلِمَنْ لَا يُحِبُّ ، ولكنه لَا يُعطي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ .. فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه .. وعلامة ذلك : التوفُّق للطاعات ، مع الخوف من عدم القبول لعدم تمامها ، أو لعدم كمالها .. وملازمة ذلك له حتى الموت ..

## علاج الغرور :

لكل منّا طريق يوصله إلى الله أو باب يذلف منه إلى هذا الطريق ، والسعيد مَنْ يعرف بابه ، فيدخل منه ، وينجو بفضل الله وتوفيقه .. وكما أضاء القلب بنور الإيمان وسلم من الأمراض كانت معرفة الباب سهلة ميسرة ، فالله تبارك وتعالى يقول : ( وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ )<sup>(١)</sup> .. **فَالْحَاكِم** بابه العدل بين الرعية .. **وَالْقَاضِي** بابه الفصل بين الناس بالحق .. **وَالغَنِيُّ** بابه الإنفاق في وجوه الخير .. **وَصاحب الجاه** بابه إيصال صوت المظلومين الضعفاء إلى أسماع المسئولين ، والتوسط في قضاء حوائجهم ..

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بَابَهُ وَيَطْرُقْ أَبْوَابًا أُخْرَى ، فهو مغرور مخدوع .. وأمثال هؤلاء :

١- الحاكم الذي يقضى ليله ونهاره في العبادة ، وهو غافل عن أحوال الرعية .. فلا تنفعه عبادته .

٢- القاضي الذي يشغل نفسه بقراءة القرآن ، والذهاب إلى المساجد في غير أوقات الفرائض ، وقد أهمل القضايا فلا يدرسها أو يبحثها كما يجب ،

(١) سورة التغابن آية ١١ .

فيقضى بغير علم ، أو يؤجلها المرة تلو المرة ، فيتأخر حصول صاحب الحق على حقه .

٣- الغنى الذى يبني القصور ويملؤها بأفخر الأثاث ، والتحف مكتفياً بإخراج زكاة ماله ، ثم يحج بيت الله الحرام عاماً بعد عام ، وقد أحيط قصره بالجياح والذين لا يجدون ما يسترهم ، أو يقيهم برد الشتاء .

٤- صاحب الجاه والحظوة الذى يستغل جاهه فى الحصول على مطالبه ومطالب أولاده ، ولا يعود بجاهه على الضعفاء والمقهورين ، ولا ينفعهم به ، ويكتفى بمصاحبة العلماء والشيوخ ليستكمل جاه الدنيا بجاه الدين .. والنبي (ﷺ) يقول مُنْبَهًا : ( مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ <sup>(١)</sup> ظَهَرَ <sup>(٢)</sup> ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ) <sup>(٣)</sup> .. ويقول (ﷺ) : ( كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ) <sup>(٤)</sup> ..

## الكِبْر

« الكِبْرُ » : هو إحساس الشخص بأن منزلته الدينية أو الدُّنْيَوِيَّةُ أعلى من منزلة غيره ، وأن رتبته تفوق رتبة غيره .. ثم يَرَكُنُ إلى هذا الإحساس ، ويعتقده بقلبه ، ويستريح إليه ، وتتعاظم نفسه فى عينيه فلا يرى سواها .. ويتأصل المرض فى قلبه .. ثم تظهر آثاره على الجوارح فيمشى مُخْتَالًا فَخُورًا ، وَيُصَعِّرُ خَدَّهُ للناس ..

(١) الفضل : الزيادة على الحاجة .

(٢) الظَّهْرُ : ما يُرَكَّبُ عليه من الدواب .

(٣) رواه مسلم كتاب اللقطة .

(٤) رواه البخارى كتاب النكاح .

ثم يظهر الأثر بعد ذلك على اللسان فيتفاخر : بعلمه ، أو بنسبه ، أو بعبادته .. ويقع في محظورات لا عد لها ولا حصر ..

والكِبْرُ مَذْمُومٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، مُهَدِّدٌ أَصْحَابَهُ بِسُوءِ الْمَصِيرِ .. مِثْلُ : ( فَبَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ )<sup>(١)</sup> .. ( سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا )<sup>(٢)</sup> .. ( إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ )<sup>(٣)</sup> ..

### دَرَجَاتِ الْكِبْرِ :

١- أن يكون الكِبْرُ مَرَضًا مُسْتَبْطِنًا فِي الْقَلْبِ ، وَلَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ أَوْ اللِّسَانِ ، وَلَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُوصَفُ صَاحِبُهُ بِهِ وَيَحَاسِبُ عَلَيْهِ .. كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ( إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبِلَغِيهِ )<sup>(٤)</sup> .. وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : ( لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ<sup>(٥)</sup> مِنْ كِبْرٍ )<sup>(٦)</sup> .. وَيَقُولُ : ( يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ<sup>(٧)</sup> فِي صُورِ الرَّجَالِ ، يَعْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ )<sup>(٨)</sup> ..

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٤) سورة غافر آية ٥٦ .

(٦) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

(٧) أمثال الذر : أى فى الصغر والحقارة .. و« الذرّ » : النمل الأحمر الصغير .

(٨) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

٢- أن يظهر أثر الكبر على الجوارح فيراه الناس ويشعروا به كأن يُصعَّر خدّه للناس ، أو يَعْبَسُ في وجوههم ، أو يمشى بينهم مُخْتَلًا فخورًا بنفسه ، أو يمشى في الأرض مرحًا .. وقد جاءت هذه العلامات واضحة في القرآن ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ )<sup>(١)</sup> .. ويقول الرسول (ﷺ) : ( بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ مِنَ الْخِيَلِ خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ<sup>(٢)</sup> فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ )<sup>(٣)</sup> .. ويقول (ﷺ) : ( مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )<sup>(٤)</sup> .. ويقول : ( مَنْ تَعَزَّمَ فِي نَفْسِهِ ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ )<sup>(٥)</sup> ..

٣- أن يظهر أثر الكبر على اللسان فيتفاخر : بنفسه ، أو بعمله ، أو بقوته ، أو بعلمه ، أو بعبادته .. ويتعالى على الناس بذلك .

أنواع الكبر :

للكبر أنواع ثلاثة :

١- التكبر على الله .. وهذا هو أفحش أنواع الكبر ، ولا يصيب إلا الطغاة والجبارين : كفرعون ، وهامان ، والنمروذ ، ومن كان على شاكلتهم .. وهذا الصنف من الناس يستنكف أن يكون عبداً لله .. وقد يبدو هذا القول

(٢) يتحلجل : يغوص ويضطرب .

(٤) رواه البخارى كتاب المناقب .

(١) سورة لقمان آية ١٨ .

(٣) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

(٥) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

غريبًا ، ولكن الغرابة تزول بضرب الأمثال .. والمثل الأول : هو « فرعون »  
 إذ يحكى القرآن الكريم عنه قوله : ( يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلِيهِ  
 غَيْرِي )<sup>(١)</sup> .. وكذلك : ( فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى )<sup>(٢)</sup> ..  
 وكذلك : ( أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي )<sup>(٣)</sup> .. وهذه  
 الأقوال تدل على استنكافه أن يكون عبدًا لله ، أو أن يكون للناس إله غيره ..  
 فهو لم يستكبر على « موسى » - كما فعل قومه - ولكنه نفى وجود إله  
 لهم غيره ، ورأى أنه الإله الأوحد المستحق للعبادة والطاعة ، واستنكف أن  
 يكون عبدًا بعد ما كان إلهًا ..

والمثل الثاني : هو النمرود الذى يحكى عنه القرآن : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ  
 إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
 وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ )<sup>(٤)</sup> .. وهذا المتكبر على الله صار مثلاً لكل  
 متكبر فى الأرض ، إذ يطلق الناس على أمثاله كلمة « نمرود » .. وبالمقابل لو  
 نظرنا إلى ما يجب أن يكون عليه العباد الذين أضاء الله قلوبهم بنور معرفته  
 لوجدنا الحق تبارك وتعالى يقول فى شأنهم : ( لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ  
 يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ  
 وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا )<sup>(٥)</sup> ..

<sup>(١)</sup> سورة القصص آية ٣٨ . <sup>(٢)</sup> سورة النازعات الآيتان ٢٣ ، ٢٤ . <sup>(٣)</sup> سورة الزخرف آية ٥١ .

<sup>(٤)</sup> سورة البقرة آية ٢٥٨ . <sup>(٥)</sup> سورة النساء آية ١٧٢ .

٢- التَّكْبُرُ عَلَى الرَّسُلِ .. والمصابون بهذا الداء يمتلئ القرآن بأمثلة لهم ، منها :

( فَقَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ )<sup>(١)</sup> .. ( قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا

بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ )<sup>(٢)</sup> .. ( قَالُوا مَا

هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ )<sup>(٣)</sup> .. ( وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ

بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ )<sup>(٤)</sup> .. ( وَقَالُوا لَوْلَا نُنزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى

رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ )<sup>(٥)</sup> .. وهؤلاء جميعاً لم يستكبروا على الله تبارك

وتعالى ، فقد اعترفوا بوجوده ولم ينكروه ، ولكنهم استكبروا على رسلهم ..

وهذان الصنفان من الناس : المتكبرون على الله ، والمتكبرون على الرسل

تَكْمُنُ خطورة مرضهم عليهم في أنهم يصمون آذانهم عن سماع الحق

فلا يهتدون إليه .. وهم في ذلك ينقسمون إلى قسمين :

( أ ) قسم يمتنع عن السماع أصلاً : وهؤلاء هم الضالون ، وفيهم يقول الحق

تبارك وتعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَغْلِبُونَ )<sup>(٦)</sup> .. ويقول : ( وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي

ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا )<sup>(٧)</sup> ..

( ب ) قسم يستمع ويتبين له الحق فلا يتبعه استكباراً : وهؤلاء هم المغضوب

عليهم ، وفيهم يقول الحق تبارك وتعالى : ( فَالَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا

(١) سورة المؤمنون آية ٤٧ .

(٢) سورة يس آية ١٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٤٧ .

(٤) سورة فصلت آية ٢٦ .

(٥) سورة الزخرف آية ٣١ .

(٦) سورة المؤمنون آية ٣٤ .

(٧) سورة نوح آية ٧ .

هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (١) ..  
 ويقول : ( الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا  
 مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) (٢) .. إذا فقد عرفوا الحق وتيقنوا منه ،  
 ومنعهم الكبر من أتباعه .. فالكبر : إما يمنع من الاستماع أصلاً فيؤدى إلى  
 الضلال .. وإما يمنع من الانقياد بعد السماع ، فيؤدى - والعياذ بالله - إلى  
 غضب الله .. من أجل ذلك استحقوا ما قضاه الله عليهم بقوله : ( سَأَصْرِفُ  
 عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا  
 يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ  
 يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ) (٣) ..

٣- التكبُّر على الناس .. والمصابون بهذا الداء يتكبرون على أقرانهم ،  
 فضلاً عن هم أقل منهم شأنًا ، ويحرمون بذلك من أخلاق المؤمنين مثل :  
 التواضع ، وكظم الغيظ ، والعفو ، وبسط الوجه ، ويدعوهم الكبر إلى  
 الجدل ، والمراء لإفحام الخصم ، وإلى ازدراء غيرهم واحتقارهم .. ونبينا  
 (ﷺ) يقول : ( بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ) (٤) .. وقد  
 غفل هذا الصنف من الناس عن أن منازل العباد عند الله لا يعلمها سواه ،  
 وأن درجاتهم في الدنيا قد قسمها الله .. كما أنهم وقعوا في خطرٍ داهم

(١) سورة النمل الآيتان ١٣ ، ١٤ . (٢) سورة البقرة آية ١٤٦ . (٣) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلوة .

وشرَّ مَاحِقٍ ، إذ نازعوا الله حقه ، وشاركوه سلطانه .. فهو المتكبر بحق ،  
القائل في حديثه القدسي : ( الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ  
نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ )<sup>(١)</sup> ..

ما يكون به التكبر :

يلزم للمتكبر أن يكون لديه ما يتكبر به : فمنهم من يتكبر بعلمه ، أو بعبادته وما  
يتعلق بأمور الدين ، ومنهم من يتكبر بأمور الدنيا كالمال ، أو الجاه ، أو الجمال ، أو  
القوة ، وكثرة الأتباع ، وما إلى ذلك .. وإليك البيان :

### ١- التكبر بالعلم :

ويكون ذلك بأن ينظر المتعلم إلى الناس من علوٍّ ، ويرى لنفسه منزلة ليست  
لهم ولا يمكن أن يبلغوها : فإذا وَعَظَ عَنَّفَ .. لا يعرف الرفق سبيلاً إليه .. يغضب  
إذا رده أحد ، ويثور إذا انتقده آخر .. يحفظ ما ورد عن النبي (ﷺ) في فضل العلماء ،  
ولا يميل من ترديده على مسامع الآخرين مثل : ( فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي  
عَلَى أَدْنَاكُمْ )<sup>(٢)</sup> .. ( فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ سَبْعِينَ دَرَجَةً ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ  
كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ )<sup>(٣)</sup> .. لا يقول ذلك تعليماً ، وإنما للافتخار على الناس  
بعلمه معتقداً أنه أهلٌ لتلك المنازل العليا ، فينتظر من الناس أن يُعَظِّمُوهُ وَيُوقِّرُوهُ ..

وأسباب إصابة هذا الذي ظن نفسه عالماً بهذا المرض الخطير تتلخص

فيما يلي :

<sup>(١)</sup> رواه أبو داود كتاب اللباس . <sup>(٢)</sup> رواه الترمذي كتاب العلم . <sup>(٣)</sup> رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده .

(أ) أن يكون قد نال من العلم قشوره ، ولم يصل إلى حقيقة العلم ، فلو وصل إلى حقيقة العلم لَعَلِمَ أن أشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالله .. ولو كان عالماً بالله وبصفاته لعلم أنه هو - سبحانه وتعالى - الْمُتَكَبِّرُ بحق .. ولعلم أنه مهما نال من علوم فهو من فضل الله عليه : (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) <sup>(١)</sup> .. وَلَعَلِمَ أنه مُعَرَّضٌ للنسيان والوهم وذهاب العقل ، ولو عرف نفسه على حقيقتها لعلم أن أوله نُظْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وآخره جِيْفَةٌ قَدِرَةٌ ، وهو بينهما يَحْمِلُ العَدْرَةَ .. من هنا كان جهله بنفسه وبربه سبباً في إصابته بمرض الكِبَرِ .. بالإضافة إلى أنه غفل عن أن العلم يلزمه فَهْمٌ .. وكما أن العلم فضل من الله ، فكذلك الفَهْمُ منحة من الله ، كما يُشْعِرُنَا بذلك قوله تعالى : ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) <sup>(٢)</sup> ..

(ب) أن يكون قد تَعَلَّمَ العلمَ قبل أن يهذب نفسه وَيُزَكِّيَهَا .. فلم يُعَلِّمَهُ عَالِمٌ ، ولم يُؤَدِّبْهُ شَيْخٌ ، ولم يُرَبِّهُ هو نفسه ، إذ إن الأدب يسبق العلم .. فكما ينزل الماء من السماء عَذْبًا صَافِيًا فتشرب منه الأشجار بجذورها وعروقها فتُحَوِّلُهُ على قدر طعومها : فيزداد الحُلُوُّ حلاوةً ، ويزداد المُرُّ مرارةً .. فكذلك العلم ينزل من السماء نورًا صَافِيًا لأنه من الله ، بدليل قول الحق

<sup>(٢)</sup> سورة الأنبياء الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

<sup>(١)</sup> سورة العلق آية ٥ .

تبارك وتعالى : ( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا )<sup>(١)</sup> .. ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا )<sup>(٢)</sup> ..

( عِلْمَ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ )<sup>(٣)</sup> .. ( وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ )<sup>(٤)</sup> ..

فالعلم كالغيث ينزل على قلوب الرجال صافياً فتحوّله القلوب على مقدار نقاءها وسلامتها ، أو مرضها وخبثها .. فيزداد المتكبر كِبَرًا ، ويزداد المتواضع تواضعًا .. ويزداد الأصيل أصالة ، ويزداد الدنيء دناءة .. فمن تلقى العلم قبل أن يُزكى نفسه ، ويطهرها ، وينظف قلبه ، ويداويه ، ويُعده لأن يكون طيبًا كالأرض الطيبة - نزل العلم على قلبه وهو خبيث مظلم فزاده خبثًا على خبث ، وظلامًا على ظلام ، ومثال ذلك على التحقيق ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى : ( وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ )<sup>(٥)</sup> ..

من أجل ذلك وَجَبَ على مَنْ أراد طريق العلم والعلماء أن يتأدب أولاً ، ويطهر قلبه من كل ما هو خبيث ، ومن كل مرض قد يكون مصاباً به : كالرياء ، والنفاق ، والعُجب ، والكِبَر ، وما إلى ذلك .. من هنا كانت فائدة الشيوخ المُربِّين الذين هم أطباء القلوب ، القادرون على اكتشاف حقيقتها ، واكتشاف عيوبها ، وكيفية علاجها .. وخير مثال لذلك

(١) سورة البقرة آية ٣١ .

(٢) سورة طه آية ١١٤ .

(٣)

سورة العلق آية ٥ .

(٤) سورة التوبة الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) سورة النساء آية ١١٣ .

سيد الخلق (ﷺ) الذى يقول : ( أَدَبِنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي )<sup>(١)</sup> .. ومما قاله له ربه فى هذا المجال : ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٢)</sup> .. ( وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ )<sup>(٣)</sup> .. وقد أدبَ النَّبِيُّ (ﷺ) أصحابه بأدبه ، وأدبَ الأصحابُ تابعيهم .. وهكذا كان العلم يُتلقى مشافهة بعد التأديب والتهديب .. ومن ضمن التأديب أن يتأدب العالمُ بالتواضع لله الذى مَنَّْ عليه بالعلم ، وأن يعلم أن المانع مانع ، ولا يغفل عن قول الله تبارك وتعالى لسيد الخلق وأعلمهم : ( وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا )<sup>(٤)</sup> .. وكذلك يتنبه لقصة سيدنا « موسى » عليه السلام التى قصَّها علينا رسول الله (ﷺ) ، إذ كان فى ملاء من « بنى إسرائيل » فسأله سائل : هل هناك مَنْ هو أعلم منك يا « موسى » ؟ قال : لا ، فأوحى الله إليه : بلى عبدنا « خضر » .. فسأل سيدنا « موسى » ربه الطريق إليه حتى يلتحق به .. وهكذا كانت رحلة سيدنا « موسى » مع سيدنا « الخضر » التى وردت فى سورة « الكهف » .. وحين أجاب سيدنا « موسى » السائل بأنه لا يوجد مَنْ هو أعلم منه لم يكن ذلك كِبْرًا ولا فَخْرًا ، ولكنه اعتقد أنه ما دام رسول زمانه فلا وحي إلا عن طريقه ، ولا علم إلا من خلاله ، فأراد الله تبارك وتعالى أن يبين له أن الأمر له وحده ، وأنه كان يجب عليه

(١) رواه أبو سعد السمعاني فى أدب الإماء من حديث ابن مسعود ، والعسكري فى الأمثال .  
(٢) سورة الحجر آية ٨٨ .  
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .  
(٤) سورة الإسراء آية ٨٦ .

أن يُرْجَعَ العلم إلى الله ..

## ٢- التكبر بالعبادة :

ويكون ذلك بأن ينظر العبد إلى عمله ، ويعجب به ، ويظن أنه قد عمل ما لم يعمله سواه ، وينسب ذلك إلى نفسه ، فيُصاب قلبه بداء الكبر فيحبط عمله ويهلك ، لأن الله تبارك وتعالى هو الموفق للعمل الصالح .. بل هو المانح للصحة والفراغ لأداء هذه الأعمال ، ولو شاء لشغله بهموم لا قبل له بها ، ولشتت قلبه ، أو لأصابه بأمراض وأسقام تمنعه من أداء الفرائض فضلاً عن النوافل ، فكيف - والأمر كذلك - يتكبر بشيء ليس له فيه فضل؟! .. والأخطر من كل ذلك أن ينظر المتكبر - بعبادته - إلى الناس باعتبارهم هلكى لأنهم عصاة ، أما هو فناج لأنه عابد .. وقد غفل عن قول النبي (ﷺ) : ( إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ )<sup>(١)</sup> .. وكذلك غفل عن قوله (ﷺ) : ( لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ : لَا ، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ )<sup>(٢)</sup> ..

وكتاب الله الكريم يشير إلى أنه ما من نبي إلا ونجا برحمة الله ، وليس بعمله أو بفضله .. كما جاء في قوله تعالى : ( فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا )<sup>(٣)</sup> .. ( وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا )<sup>(٤)</sup> .. ( فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا )<sup>(٥)</sup> .. ( وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة . (٢) رواه البخارى كتاب المرضى . (٣) سورة الأعراف آية ٧٢ .

(٤) سورة هود آية ٥٨ . (٥) سورة هود آية ٦٦ .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا (١) ..

هذا بالإضافة إلى أن الطاعات بحسب ظواهرها شيء ، وبحسب حقيقتها شيء آخر .. فَرُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَاِنْكَسَارًا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا .. ولعل عاصياً ندم على معصيته فندمه يُنجيه ، ولعل طائعاً وتكبره بطاعته يُرديه .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، كقصة الرجلين من بنى إسرائيل (٢) اللذين كان أحدهما عابداً والآخر عاصياً ، فتكبر العابد على العاصي وعَنَّفَهُ وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ .. فدخل العابد النار ، ودخل العاصي الجنة .. وقصة الرجل (٣) الذي أمر أبناءه بحرق جُثَّتِهِ بعد موته خوفاً من الله ، فأدخله الله الجنة .. كل ذلك وغيره قَصَّهُ النَّبِيُّ ﷺ على أصحابه لِيُؤدَّبَهُمْ وَيَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْعَمَلَ غَيْرُ مَضْمُونٍ ، وَأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِيمِ .. وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ..

### ٣- التَّكْبَرُ بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ :

ويكون ذلك بالتعالى على الناس - ولو كانوا أرفع منه علماً وعملاً - بمنزلة الآباء وعلو شأنهم في الدين أو في الدنيا .. وقد رُوِيَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ الْغَفَارِيَّ (رضي الله عنه) شُوهِدَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ (٤) وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ مِثْلَهَا ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ !! فَقَالَ : إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : ( يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ ؟! إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ .. إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ (٥) ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا

(١) ، (٢) انظر كتابنا « من الأحاديث القدسية »

(٣) خولكم : خدمكم ، وعطية الله لكم .

(٤) سورة هود آية ٩٤ .

(٥) الحلة : ثوب من قطعتين .

يَغْلِبُهُمْ<sup>(١)</sup> ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ<sup>(٢)</sup> .. ولقد ورد أن رسول الله (ﷺ) قال :  
 ( انْتَسَبَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ « مُوسَى » عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَحَدُهُمَا  
 كَافِرٌ ، وَالْآخَرُ مُسْلِمٌ .. فَانْتَسَبَ الْكَافِرُ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءَ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ : أَنَا فُلَانُ  
 ابْنُ فُلَانٍ ، وَبَرِئْتُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ .. فَخَرَجَ مُنَادِي مُوسَى يُنَادِي : أَيُّهَا الْمُنْتَسِبَانِ  
 قَدْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ ، أَمَا أَنْتَ فَانْتَسَبْتَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءِ كُفَّارٍ ،  
 وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ .. وَأَمَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، فَاقْصِرْتَ عَلَى أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ ،  
 وَبَرِئْتَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ ، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَبَرِئْتَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ<sup>(٣)</sup> ..

وإذا كان الإنسان خسيساً فكيف يرفع قدره بالنسب أو الحسب؟! .. وقد  
 قال أحد الشيوخ لرجل افتخر بأصله : ( أنا أعلمُ بأصلك وفصلك .. أما أصلك :  
 فَيُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ .. وَأما فصلك : فتغسل منه الأبدان ) .. مشيراً إلى أن الأصل :  
 هو التُّرَابُ الذي يُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ ، والفصل : هو المَنَى الذي تغسل منه الأبدان ، فهذا  
 هو الإنسان : خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ..

#### ٤ - التَّكْبَرُ بِالْجَمَالِ :

ويكون هذا المرض في النساء أكثر وأظهر منه في الرجال .. فمن طبيعة المرأة أن  
 تُعْجَبَ بِجَمَالِهَا ، وَتَخْتَالَ بِهِ عَلَى مَنْ هِيَ دُونَهَا ، وَلَيْسَ جَمَالُ الْجَمِيلِ بِفِعْلِهِ فَيُحْمَدُ  
 عَلَيْهِ .. وَلَا قُبْحُ الْقَبِيحِ بِذَنْبِهِ فَيَلَامُ عَلَيْهِ .. وَإِنَّمَا الْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِلُ :

(١) مَا يَغْلِبُهُمْ : مَا يَعْجِزُهُمُ الْقِيَامُ بِهِ . (٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ كِتَابَ الْإِيمَانِ .. وَمُسْلِمُ كِتَابَ الْإِيمَانِ .

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

( هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ) (١) .

## ٥- التكبرُ بالمال :

ويكون بسبب جهل صاحبه بأن المال ليس صفة ذاتية : كالقوة البدنية ، أو الجمال ، أو العلم .. وإنما هو صفة عارضة يأتي ويذهب ، وقد يزول في لحظة .. ومثال ذلك من القرآن : ( وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿١٦﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿١٧﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) (٢) .. فهذا رجل آتاه الله من المال أطيبه ، ووسّع عليه ، وبدلاً من أن يشكر نعمة الله تكبر بماله على من لا مال له .. فكان عاقبة كبره أن أفقده الله ما أعطاه في لحظة ، كما يحكى القرآن الكريم : ( وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ) (٣) .. وهناك مثال آخر حكاه القرآن عن أصحاب البساتين الذين اختالوا بالنعمة ، واعتبروا أنهم مستحقون لها ، ولم يُخرجوا حق الفقراء فيها ، بل وقرروا أن يحصدوها سرّاً حتى لا يراهم أحد فيسألهم مما أعطاهم الله ، فكان نتيجة ذلك أن فقدوها في ليلة واحدة : ( فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٦﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ) (٤) .. ومثال ثالث عن نتيجة التكبر بالمال ألا وهو ما حدث لـ « قارون »

(١) سورة آل عمران آية ٦ . (٢) سورة الكهف الآيات من ٣٢ : ٣٤ . (٣) سورة الكهف آية ٤٢ .

(٤) سورة القلم الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

حين خرج على قومه في زينته مُختالاً فَخُورًا : ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ )<sup>(١)</sup> ..

## ٦- التكبر بالقوة :

ويكون بقوة الجسد أو ضخامته ، وهو جهل ما بعده جهل !! إذ يتكبر الإنسان بصفة سبقته إليها البهائم : فالثور أقوى منه ، والبغل أضخم منه .. كما أنه لا يأمن استمرار قوته ، فهي مُعرضة للزوال !! والإنسان - بصفة عامة - مُعرض للأمراض والأسقام ، والعجز ، والشيخوخة ، ثم إن هذا المتكبر بقوته البدنية إذا ما دخلت نملة في أُذنه أهلكته ، وإن أصابت قدمه شوكة أعجزته ..

## ٧- التكبر بالاتباع والجنود :

ويكون ذلك في زعماء الدول الذين يجعلون من أفراد شعوبهم وقودًا لنيران حروبهم تكبرًا بما لديهم من كثرة العدد ، أو تطور العدد وهو ما يؤدي بهم وبأممهم إلى الدمار والخراب .. وهذا تكبر بشيء غير ذاتي وغير مضمون ، إذ هم مُعرضون لأن تتخلى عنهم شعوبهم في أقل من ثوان ..

## علاج الكبر :

علاج الكبر يكون بأمر واحد ألا وهو : أن يعرف الإنسان نفسه ، لأنه إذا عرف نفسه عرف ربه وعلم أنه هو - عز وجل - المتكبر بحق .. وأن الكبر لا يليق بالمخلوق الذي لا يملك من أمر نفسه شيئًا .. ومعرفة النفس تتأتى بالتفكير في المبدأ

<sup>(١)</sup> سورة القصص آية ٨١ .

والمعاد : كيف نشأ؟! .. وكيف يستمر في البقاء؟! .. وكيف تكون النهاية ، وما يعقبها من بعث وحساب وجزاء؟! .. وخير دليل لنا في معرفة نفوسنا هو ( القرآن الكريم ) الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا )<sup>(١)</sup> .. ( قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٤﴾ مِن أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١١﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ )<sup>(٢)</sup> .. والآيات تبين أن الإنسان كان معدومًا والكون موجود ، فقد كان الله ولم يكن شئ .. وليس هناك أحسن من العدم ، لأن الوجود فضل .. ودرجات الوجود تتفاوت ، فالموجود العاقل أعلى رتبة من الموجود غير العاقل .. والموجود الذى يستمد وجوده من غيره أدنى رتبة من الموجود الذى يستمد وجوده من ذاته .. وهكذا إلى أن نصل إلى العدم الذى هو أحسن المراتب .. كما أن الإنسان حين وُجد من العدم وُجد من أحسن الأشياء ، ألا وهو التُّراب الذى يوطأ بالأقدام .. ثم من النطفة التى تغسل منها الأبدان ، وهكذا نرى أن الإنسان بدأ بعدمه قبل وجوده ، وبموته قبل حياته .. وبضعفه قبل قوته .. وبعماه قبل إبصاره .. وبصممه قبل سمعه .. وبعجزه قبل قدرته ... وبضلاله قبل هداه .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )<sup>(٣)</sup> .. ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ

<sup>(١)</sup> سورة الإنسان الآيتان ١ ، ٢ . <sup>(٢)</sup> سورة عبس الآيات من ١٧ : ٢٢ . <sup>(٣)</sup> سورة النحل آية ٧٨ .

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً (١) ..

وكذلك نجد أن الإنسان في وجوده مرهون بأشياء خارجة عن ذاته وخارجة عن إرادته .. إذن وجوده غير مُسْتَمَد من ذاته : فهو محتاج إلى الطعام ، والشراب ، والهواء ، والدواء ، والنوم ، وهو في هذا الوجود مُعَرَّضٌ للأمراض ، والأسقام ، والأوجاع .. يُهْلِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا في عمليات الاحتراق الداخلي ، شاء ذلك أم أبى .. هذا بالإضافة إلى أنه يريد أن يتذكر الشيء فينساها ، ويريد أن ينسى الشيء فيذكره .. يريد أن يجمع قلبه ويفرغه لأمر يهمه ، فإذا به يذهب بعيداً في أودية الوسواس والخواطر والأفكار .. كل ذلك اضطراراً وليس اختياراً .. يجب الشيء وفيه هلاكه ، ويكره الشيء وفيه حياته .. يتلذذ بالأطعمة وهي تتلفه ، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه .. وهو مُعَرَّضٌ في كل لحظة للخطر .. لا يأمن على نفسه لحظة من ليل أو نهار : أن يَخْتَلَّ عقله ، أو تُشَلَّ أعضاؤه ، أو يُسَلَّبَ سمعه ، أو يذهب بصره ، أو أن يُخْتَمَ على فيه .. كما أنه بعد انتهاء أَجَلِهِ يُهَال عليه التراب ، ويسمع خَفَقَ نَعَالٍ مُشِيْعِيهِ ، وتأتيه الملائكة للسؤال في قبره .. وليس هناك من يجيب عنه ، أو يُعِينَهُ ، أو يأخذ بيده .. بل يكون وحيداً ، ويتحدد مصيره بإجابته : فإمّا إلى رَوْضَةٍ من رياض الجنة ، وإمّا إلى حُفْرَةٍ من حُفَرِ النار .. وما هي إلاّ أيام قليلة ويتحول جسده إلى رَوْثٍ في جَوْفِ الدِّيدَانِ ، وإلى جِيفَةٍ يَسْتَقْدِرُهَا الإنسان ، ويعافها الحيوان .. لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً .. فكيف يتكبر مَنْ هذا حاله؟! ألاّ يجب عليه أن ينظر إلى قلبه ليداويه ويعالجه من الآفات ويُزَكِّيهِ؟! ..

(١) سورة الروم آية ٥٤ .

ولكل نوع من أنواع الكبر علاج خاص به .. وإليك البيان :

## ١- المتكبر بعلمه :

عليه أن يتذكر قول رسول الله (ﷺ) : ( يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَدْلُقُ <sup>(١)</sup> أَقْتَابَهُ <sup>(٢)</sup> فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ <sup>(٣)</sup> ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيُّ فُلَانٍ ، مَا شَأْنُكَ ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟! قَالَ : كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ) <sup>(٤)</sup> .. فَأَيَّ عَالِمٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ ذَلِكَ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ؟! .. وليعلم أن حجة الله تبارك وتعالى عليه بالغة .. فما يقع من الجاهل لا يقبل وقوعه من العالم .. وليتذكر في ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ( مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ) <sup>(٥)</sup> .. فالله تبارك وتعالى يُشَبِّهُ حَامِلَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِهِ بِالْحِمَارِ .. وَكَذَلِكَ يُشَبِّهُهُ بِالْكَلْبِ فِي قَوْلِهِ : ( وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ) <sup>(٦)</sup> وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ) <sup>(٦)</sup> .. فهل للمتكبر بعلمه ضمان أن لا يكون مثل هؤلاء ؟! .. وهل خلا من الذنوب ، أو سلم من العيوب ؟! ..

(١) تدلق : تقع وتسقط .

(٢) أقتابه : أمعاؤه وأحشاؤه .

(٣) برحاه : بجحر الطاحون التي يديرها ، والمراد دورانه حول مربطه .

(٤) رواه البخاري كتاب بدء الخلق .

(٥) سورة الجمعة آية ٥ .

(٦) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

والحق تبارك وتعالى يقول : ( فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ )<sup>(١)</sup> .. فإذا جلس مثل هذا العالم لِيُعَلِّمَ غيره ، ويأمر وينهى فعليه أن يتذكر ذنوبه وخطاياها حتى يترفق بالمتعلمين .. ويتذكر أن العلم فضل من الله يؤتيه من يشاء .. وأن الخاتمة مجهولة ، والعاقبة غير معلومة ، فلا يدرى بِمَ يُخْتَمَ له ، وكذلك بِمَ يُخْتَمَ لِمَنْ يتكبر ويتعاضم عليه !! ..

## ٢- المتكبر بعبادته :

عليه أن يتذكر أن النبي ﷺ قال : ( لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : لَا ، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ )<sup>(٢)</sup> .. وأنه ﷺ قال : ( مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَيَّ كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ ؟ قَالَ : اْعْمَلُوا ، فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .. أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ )<sup>(٣)</sup> .. ثُمَّ قَرَأَ : ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ نُحِلَّ وَأَسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ )<sup>(٤)</sup> .. فالعمل رزق ، والتوفيق إلى الطاعة كرامة من الله وفضل .. والجوارح والأعضاء التي تؤدي العبادة منحة من الله ونعمة ، ولو شاء لسلبها .. فكيف - والأمر كذلك - يتكبر العابد

(١) سورة الأعراف آية ٩٩ . رواه البخاري كتاب المرضى . (٢) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن .

(٣) سورة الليل الآيات من ٥ : ١٠ .

عبادته؟! .. كما أنه لا يعرف أعمال من يتكبر عليهم .. فالناس صنفان : صنف مستور لا تظهر طاعته ولا معصيته ، وهذا قد ثقل ذنوبه وتزيد طاعته عما عند هذا المتكبر .. وصنف مكشوف قد تظهر بعض معاصيه ، ويكون له من الأعمال الخيرة الخفية ما يكفر الله بها عن معاصيه .. وأوضح مثال لذلك ما ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال : ( بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى <sup>(١)</sup> مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ ) <sup>(٢)</sup> .. وكذلك ما ورد أنه (ﷺ) قال : ( بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ <sup>(٤)</sup> مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَزَرَعَتْ مُوقَهَا <sup>(٥)</sup> فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ ، فَغَفِرَ لَهَا بِهِ ) <sup>(٦)</sup> .. كما قد يكون للمتكبر بعبادته من ذنوب القلب وآثامه ما يحبط عمله وعبادته .. فليتق الله ، وليتواضع بعبادته له ، ولا يتناول بها على أحد من خلقه .. وقد جاء في الحديث القدسي : ( إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِنْ تَوَاضَعٍ بِهَا لِعَظَمَتِي .. وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَيَّ خَلْقِي .. وَلَمْ يَيْتْ مُصِرًّا عَلَيَّ مَعْصِيَتِي .. وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي .. وَرَحِمَ الْمَسْكِينِ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالْأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ .. ذَلِكَ نُورُهُ كُنُورِ الشَّمْسِ .. أَكَلُوهُ بَعِزَّتِي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَانِكَتِي ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا ، وَفِي

(١) الثرى : التراب الرطب . <sup>(٢)</sup> رواه البخارى كتابي الأدب والمساقاة . <sup>(٣)</sup> يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ : يَحُومُ بَيْتًا .

(٤) بغى : زانية . <sup>(٥)</sup> موقها : خفها . <sup>(٦)</sup> رواه مسلم كتاب السلام .

الْجَهَالَةَ حِلْمًا .. وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ (١) ..

### ٣- الْمُتَكَبِّرُ بِحَسْبِهِ وَنَسَبِهِ :

عليه أن يتذكر قول الله عز وجل : ( يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) (٢) .. وقوله : ( فَإِذَا

نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) (٣) .. ويتذكر قول النبي

(ﷺ) لعشيرته الأقرين : ( يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ

اللَّهِ شَيْئًا .. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ

الْمُطَّلَبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي

عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .. وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي

عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ) (٤) .. وإذا كان المتكبر بحسبه ونسبه ناقصًا في صفاته ، فكيف

يجبر نقصه بكمال غيره؟! .. فعليه أن يتذكر أصله وفصله ، وأن أصله يُداس

بالأقدام ، وفصله تغسل منه الأبدان !! ..

### ٤- الْمُتَكَبِّرُ بِجَمَالِهِ :

عليه أن يتذكر أن الجمال ليس للجميل فضل فيه فيُحَمَّد عليه .. وأن القبح ليس

للقبيح ذنب فيه فيُلَام عليه ، وأن الجمال نعمة لا تدوم .. وأن القبح فتنة وابتلاء ..

وأن الله هو الذى يُصَوِّرنا فى الأرحام كيف يشاء .. ولو نظر المتكبر بجماله إلى

(١) رواه البزار عن ابن عباس (رضى الله عنهما) . (٢) سورة عبس الآيات من ٣٤ : ٣٧ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٠١ . (٤) رواه البخارى ، كتاب تفسير القرآن .

نفسه بشيء من التعقل والتعمق لوجد نفسه وعاء لكل ما هو مستقذر : فالرجيع في أمعائه .. والبول في مثانته .. والدم في عروقه .. والمخاط في أنفه .. والصديد في أذنه .. ولو ترك جسده يوماً واحداً فلم يتعهدده بالتنظيف لصار أنتن وأقذر من الكلاب الضالة ..

فسبحان من ستر القبيح بلطفه ، وأظهر الجميل بفضله ..

### ٥- المتكبر بماله :

عليه أن يتذكر أنه متكبر بشيء خارج عن ذاته ، فالمال ليس صفة ذاتية .. وهذا من أقبح أنواع الكبر ، فهو يتكبر بشيء لا يدوم ، ولو زال عنه لعاد ذليلاً .. كما أن المال فتنة في الدنيا ، وفي الآخرة محل سؤال ، وقد يكون وبالاً على صاحبه .. يجهد في جمعه في الدنيا ، ويشقى بشؤمه في الآخرة .. فليثق الله ربه ، وليعمل في ماله بطاعة الله فينجيه ، ولا يستكبر به فيرديه ..

### ٦- المتكبر بقوته :

عليه أن يتذكر أنه مهما بلغت قوته ، فمن البهائم والحيوانات ما هو أقوى منه وأشد ، فكيف يتكبر بصفة سبقته إليها البهائم .. كما أن هذه القوة لا تدوم ، فهو معرض للأسقام والأمراض ، ومعرض للحوادث والمفاجآت ، وإذا لم يكن ذلك فمرور الأيام ينقص من قوته ، ويزيد من ضعفه : فتكبر سنه ، ويهن عظمه ، وترتعش أطرافه ، وينحني ظهره ، وتسقط أسنانه ، ويضعف بصره ، ويقل سمعه .. فعليه أن ينتبه لكل ذلك ، ويتذكر قول الله عز وجل : ( وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي

أَخْلَقَ أَفْلا يَعْقِلُونَ) (١) ..

## ٧- الْمُتَكَبِّرُ بِالْأَتْبَاعِ وَالْجُنُودِ :

عليه أن يتذكر قول الله تبارك وتعالى : ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۚ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ) (٢) .. وقوله : ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ) (٣) .. وعليه أن يتيقن أن أتباعه وجنوده يتركونه عند قبره .. ولا يحمل أحد منهم عنه وزره .. وأن ولاءهم غير دائم .. فلو أنهم وجدوا من هو أكثر منه نفعاً لأنفضوا من حوله .. وإخلاصهم غير مضمون ، فقد تأتيه الطعنة من أقربهم إليه .. وحوادث التاريخ خير شاهد على ذلك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ( وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ) (٤) .



(١) سورة يس آية ٦٨ . (٢) سورة البروج الآيتان ١٧ ، ١٨ . (٣) سورة الفيل آية ١ .

(٤) سورة الكهف آية ٤٦ .

## وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، فهذه خلاصة لأمراض اللسان والقلب ..  
أجملناها لك في هذا الكتاب .. مُبتغين بذلك الأجرَ من (( الله )) وحده ..  
عاملين بقوله الكريم : ( وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(١)</sup> ..  
فلا تجعل الكتاب يعزب عن عينيك .. أو تُبعده عن مُتناول يديك ..  
فقراءته مرة واحدة لا تُغني .. وإنما عليك بالعودة إليه .. مُتأنِّياً في قراءته ..  
مُتأملاً فيما جاء فيه .. عاملاً على علاج نفسك .. مُحاسباً لها ..  
وصدق الله العظيم إذ يقول : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا )<sup>(٢)</sup> ..  
وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : ( الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ  
الْمَوْتِ )<sup>(٣)</sup> .. وصدق « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) إذ يقول : ( حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ  
قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا ، وَتَزَيِّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى  
مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا )<sup>(٤)</sup> .. وعليك أن تتذكر دائماً أن : ( المرء بأصغريه :  
بقلبه ولسانه ) .

اللَّهُمَّ زَكِّ نُفُوسَنَا .. أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ..

أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا .. لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ..

وَاعْفِرْ ذُنُوبَنَا .. وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا .. وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا .. وَنُورْ قُبُورَنَا ..

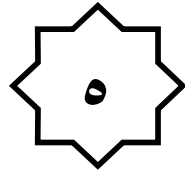
وَاجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ .. وَاهْدِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .. آمِينَ

ياسين رشدي

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ . (٢) سورة الشمس الآيات ٩ ، ١٠ . (٣) ، (٤) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة .

## الكتاب القادم

مِنْ أَخْلَاقِيَّاتِ الْإِسْلَامِ



بِرُّ الْوَالِدَيْنِ .. صَلَاةِ الرَّحْمِ .. حُقُوقِ الزَّوْجَيْنِ ..  
تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ .. النَّظَافَةِ .. الْحَيَاءِ .. الْكَرَمِ ..  
الْأَمَانَةِ .. الْعِفَّةِ .. التَّوَاضُّعِ .. الْوَفَاءِ .. الصِّدْقِ ..  
الْإِخْلَاصِ .. الْحِلْمِ .. الصَّفْحِ .. الْعَدْلِ ..  
الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ .. الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ..  
النَّصِيحَةِ .. رِعَايَةِ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ .. الصَّبْرِ ..

## الفهرس

ص	البیان	ص	البیان
٢٧	الكذب المرخص فيه .....	٣	تقديم .....
٢٨	الغِيبة .....	٩	محظورات الكلام وأمراض اللسان
٣١	بواعث الغيبة وعلاجها .....	١٠	تمهيد .....
٣٣	الأعذار المبيحة للغيبة .....	١١	الكلام فيما لا يَعْنِيكَ .....
٣٥	الغيبة بالقلب .....	١٢	فضول الكلام .....
٣٧	النميمة .....	١٢	الخوض في الباطل .....
٣٨	أسباب النميمة .....	١٣	المراء .....
٣٨	ما يجب على مَنْ نُقِلَ إليه كلام النمام	١٤	الجدل .....
٤٠	السؤال .....	١٥	الخصومة .....
٤١	فحوى الكلام .....	١٧	الفحش وبذاءة اللسان .....
٤٢	المَدْح .....	١٨	اللعن .....
٤٧	أحوال القلب وأوصافه	٢٠	المُزاح .....
٤٨	تمهيد .....	٢١	السخرية .....
٤٩	القلب .....	٢٢	الخلف في الوعد .....
٥٣	جنود القلب .....	٢٣	إفشاء السر .....
٥٥	سلامة القلب .....	٢٤	الكذب .....
٥٦	كيفية دخول العلوم إلى القلب	٢٥	الكذب في اليمين .....

ص	البيان	ص	البيان
٩١	..... علاج البخل	٥٨	..... عدو القلب
٩٣	..... حب الجاه	٦١	..... وسوسة الشيطان
٩٤	..... محظورات حب الجاه	٦٣	..... محاسبة القلب
٩٥	..... المباح من حب الجاه	٦٤	..... مرض القلب
٩٦	..... علاج حب الجاه	٦٧	<b>محظورات القلب وأمراضه</b>
٩٨	..... الرياء	٦٨	..... الغضب
١٠٠	..... أركان الرياء	٦٩	..... حدود الغضب
١٠٤	..... علاج الرياء	٧١	..... علاج الغضب
١٠٦	..... العُجْب	٧٥	..... الحقد
١٠٧	..... العُجْب بالقوة	٧٦	..... علاج الحقد
١٠٨	..... العُجْب بالمال والولد	٧٧	..... الحسد
١٠٨	..... العُجْب بالعمل	٧٨	..... مراتب الحسد
١٠٩	..... كيف يرى الناس النعمة	٧٩	..... أسباب الحسد
١١١	..... علاج العُجْب	٨٢	..... علاج الحسد
١١٣	..... الغرور	٨٣	..... ما يجب على الحاسد
١١٣	..... أنواع الغرور	٨٥	..... البخل وحب المال
١١٦	..... علاج الغرور	٨٧	..... الناس في إنفاقهم للمال
١١٧	..... الكبر	٩٠	..... الوقاية من البخل

ص	البيان	ص	البيان
١٢٩	التكبر بالجمال .....	١١٨	درجات الكبر .....
١٣٠	التكبر بالمال .....	١١٩	أنواع الكبر .....
١٣١	التكبر بالقوة .....	١٢٣	ما يكون به التكبر .....
١٣١	التكبر بالأتباع والجنود .....	١٢٣	التكبر بالعلم .....
١٣١	علاج الكبر .....	١٢٧	التكبر بالعبادة .....
		١٢٨	التكبر بالحَسَب والنَّسَب .....



رقم الإيداع ٨٣٢٦ ١٩٩١  
الترقيم الدولي 8 - 0090 - 14 - 977 I.S.B.N.

# مجموعة كتب الطريق إلى الله

- ١- هو الله
- ٢- الإسلام وأركانه
- ٣- من الأحاديث القدسية
- ٤- المحظورات
- ٥- من أخلاقيات الإسلام
- ٦- من مجامع الكلم
- ٧- التربية في الإسلام
- ٨- في رحاب الأصحاب
- ٩- نساء مؤمنات
- ١٠- التصوف ما له وما عليه
- ١١- من أحكام الإسلام
- ١٢- تأملات في آيات من القرآن الكريم
- ١٣- من علوم القرآن وبلاغته
- ١٤- مناجاة
- ١٥- في رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع  
جمعية المواساة الإسلامية  
Site: [www.mouassa.org](http://www.mouassa.org)  
Email: [mouassa1@hotmail.com](mailto:mouassa1@hotmail.com)

## إصدارات

### فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

- ١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .
- ٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .
- ٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .
- ٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تهّم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات ( cd ) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية [www.mouassa.org](http://www.mouassa.org)

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،

